دراسات فی العلوم الإنسانية
٣٢(٢)، الصيف ١٤٤٦/١٤٠٤/٢٠٢٥، صص ٥٣-٨٤
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة

دراسة سوسيولوجية للمدائح النبوية في الشعر العربي المعاصر على ضوء نظرية "زالامانسكي"

محمدحسن امرائي[١]

أستاذ مشارك في اللّغة العربية وآدابها بجامعة لرستان، لرستان، إيران.

تاريخ الوصول: ١٤٤٦/٢/٢٨ تاريخ القبول: ١٤٤٦/٩/٥

الملخص

يمكن للدراسات السوسيولوجية للأعمال الأدبية، أن تظهر جزءًا كبيرًا من الشعور والوعي الاجتماعي خلال الحقبة الزمنية التي نشأت فيها تلك الآثار الأدبية. في المجال ذاته، باتت المدائح النبوية للشعراء العرب المعاصرين، ممزوجة بالقضايا الاجتماعية والسياسية والنضالية السائدة التي أصبحت مفعمة بالتوظيفات الرمزية في أعقاب الاضطرابات التي وقعت في العالم العربي، من أجل لعب دورهم الاجتماعي والسياسي الخطير في المجتمع العربي بشكل واسع النطاق على المستوى العالمي. تزايد هذا التأثير للبيئة الاجتماعية على الأعمال الأدبية، فتشابكت قصائد الشعراء العرب المعاصرين في المديح النبويّ بشكل كبير مع الأحداث الاجتماعية والسياسية في مجتمعهم، من منظور سوسيولوجي. وظّف هذا المقال المنهج الوصفي التحليلي المعتمد على المنهج الاجتماعي ليفحص المقاربات السياسية والاجتماعية في المدائح النبوية المعاصرة بناءً على نظرية المحتويات السائدة للباحث الفرنسي "هانري زالامانسكي". أظهرت نتائج الدراسة أن التغيرات الاجتماعية المعاصرة في العالم العربي تركت أثرًا واضحًا على المدائح النبوية؛ وخلقت موضوعات ملتزمة في الشعر العربي المعاصر؛ حيث إنّ الجواب الوحيد والحلّ الشامل للشعراء العرب المعاصرين في مدائحهم النبوية، لحل مشاكل مجتمعهم – التي تبلورت هذه الإجابة من وجهة نظر زالامانسكي في أنواع أدبية مختلفة – هي "النضال من أجل الحرية" والكشف عن خطاب جديد لإصلاح مجتمعهم وازدهاره وتنميته. اذن فخرجت المدائح النبوية في هذا العصر من الفردية السالفة واتخذت طابعًا نضاليًا واجتماعيًا قويًا، كما نوقشت الشخصية الأرضية لتلك الحضرة الشريفة أكثر من شخصيته القدسية والملكوتية.

كلمات مفتاحية: الشعر العربي المعاصر، المدائح النبوية، سوسيولوجيا الأدب، الانعكاس، هانري زالامانسكي.

---

١. الكاتب المسؤول: Email: amraei.mh@lu.ac.ir

١– المقدمة

يركّز علم اجتماع الأدب في دراساته على محتوى العمل وجوهره الاجتماعي والعلاقات المتبادلة بين الأدب والمجتمع. ويحاول عبر التحقق من القواعد والأعراف الجمالية والنقد الأدبي، توضيح الآثار التي يتركها الشعراء والكتاب. إنّ العلاقة بين الأدب والمجتمع ليست علاقة أحادية الاتجاه، لأنّ الأدب يؤثر على المجتمع. كما تتأثر شخصية الناس بالمجتمع، ولكن عندما يتم تأسيس شخصيتهم، فإنّهم يصبحون حقيقة تؤثر على بيئتهم الاجتماعية؛ حيث يمكن للمرء من خلال الأعمال الأدبية، أن يفهم أفكار المبدعين لتلك الأعمال التي تأثرت بالمجتمع. وعالم الاجتماع الأدبي، من خلال دراسة مجتمع الشاعر والكاتب وأعمالهما الأدبية، يصل إلى فهم عام للمجتمع ويفحص آراء الشاعر والكاتب ويحللها. في السياق ذاته، شهدت المدائح النبوية مناهج مختلفة عبر فترات أدبية مختلفة؛ حيث ألقت الخصائص السياسية والاجتماعية للمجتمعات المعاصرة بظلالها على موضوعات الشعر والأدب وخلقت نوعًا من ثنائية القطبية بين الظالم والمظلوم في المدائح النبوية؛ لذلك تغيرت مقاربات المدائح هذه أيضًا وخرجت من مسارها الأصلي وتحولت إلى صوت لنداء الجيل المعاصر الفاشل والمشرّد، حيث تُفعم موضوعاتها بالقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والحقائق التي لم يرها الآخرون أو لم يرغبوا في رؤيتها.

هذا المقال، يسعى لتحليل المدائح النبوية المعاصرة بناءً على المنهج الوصفي – التحليلي الذي قائم على نظرية الانعكاس أو المحتويات السائدة عند هانري زالامانسكي، والتي يتم إجراءها في دراسة مضامين المدائح النبوية لدى الشعراء العرب المعاصرين. بإمكاننا قوله إنّ نظرية الانعكاس، تعتبر مرآة للمجتمع وتفحص درجة توافق محتوى الأعمال مع ما يحدث في الواقع الاجتماعي. يعتقد هانري زالامانسكي، وهو مؤيد لنظرية الانعكاس ويطلق على طريقته "علم اجتماع المحتويات"، أنّ القضية الأساسية هي أن يُكتشف في البداية ما يتمّ تقديمه للقراء؛ أي، ما هو المحتوى الذي تم نقله إليهم؟ وبحسب تحليل محتوى المصنفات وتنقيبها يمكننا الحصول على صورة عامة عن المجتمع.

١–١– أسئلة التحقيق

١. وفقًا لنظرية المضامين السائدة في الأدب لهانري زالامانسكي، كيف انعكست الظواهر السياسية والاجتماعية في المدائح النبوية للشعراء العرب المعاصرين ؟

٢. ما هي مقاربات أو ردود أفعال الشعراء العرب المعاصرين على مشاكلهم الاجتماعية والسياسية في المدائح النبوية وفقًا لنظرية الانعكاس لهانري زالامانسكي؟

٣. لماذا يعتبر الرسول (ص) في فترة الانحطاط شخصًا سماويًا تُلقى نظرة صوفية على شخصيته ولكن في الأزمنة

المعاصرة حاليا، تدهورت هذه المقاربة لدرجة أن المرء نادرًا ما يجد آثارًا لشخصيته السماوية في قصائد الشعراء المعاصرين؟

٤. هل تمّ ذلك وفقًا للعوامل الاجتماعية والمعتقدات الشائعة في كل فترة أم لا ؟

ومن أجل فهم المناقشة بشكل كامل، قام المؤلف بتحليل القصائد النبوية في الفترة المعاصرة في الأدب العربي، وفقًا لنظرية المحتويات السائدة في الأدب لهانري زالامانسكي، بادئاً بملاحظات موجزة حول العلاقة الوطيدة بين الأدب والمجتمع في علم اجتماع الأدب.

٢-١- الدراسات السابقة

إنّ المدائح النبويه تشكل قسمًا عظيمًا من التراث الإسلامي والعربي وقد كتبت الدراسات القيمة العديدة المليئة بالعواطف الدينية والإنسانية في هذا الصعيد، حيث درس كل منها هذا الموضوع من زوايا مختلفة وأبدت نقاطًا رائعة ومفيدة في هذا المجال؛ نتمثل منها بذكر أمثلة أنجزت في العصر الحاضر فقط:

١. «مقايسه مدايح نبوى دوره معاصر با دورة انحطاط» مقال للباحثين عدنان طهماسبى وحسن اسماعيل زاده (١٤٣٢ق) طبع في مجلة أدب عربي لجامعة طهران وبهذا الصدد لقد حاول الباحثان تسليط الضوء على المدائح النبوية وكيفية تكوينها كما تناولا في هذه الدراسة مظاهر من التقليد والتجديد لهذه المدائح النبوية في العصر المعاصر بالمقارنة مع فترة الانحطاط.

٢. «المدائح النبوية فى الشعر العربى (دراسة فى تطورها التاريخى) مقال للباحثين علي سليمي ومحمد نبى أحمدي (١٤٣٢ق) تم نشره في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية في جامعة تربية مدرس. تطرقا الباحثان في هذا المقال إلى المدائح النبوية وتطورها التاريخي فى الشعر العربى كله وبناءً على ما طرأ على هذه المدائح من التطورات فى الشعر القديم والمعاصر، قد قسمها الباحثان إلى ثلاثه اتجاهات: ١- إتجاه شعرى محض (إتجاه البرده الأولى). ٢- إتجاه شعرى ممزوج بالتصوف و المعارف الدينيه والفلسفيه (إتجاه البرده الثانية). ٣- إتجاه شعرى ممزوج بالقضايا الإجتماعيه و السياسيه (فى الشعر المعاصر). فنظرا لاتساع نطاق موضوع النقاش، تطرقا إلى تطور المديح النبوي في العصر المعاصر كذلك، بصورة عابرة خلال صفحة واحدة أو صفحتين بل أقل منها.

٣. «تجليات المديح النبوي عند أحمد شوقي» مقال للكاتب الجزائري بغداد عبدالرحمن (٢٠٠٩م) طبع في مجلة الكلمة وهي مجلة أدبية ثقافية فكرية شهرية تصدر من مدينة لندن بالمملكة المتحدة. وتنشر اليكترونيا على الإنترنيت، وليست لها طبعة ورقية. يتتبع الباحث في هذه الدراسة القصائد الأساسية التي تناول فيها الشاعر الشهير موضوع الرسول الكريم بالمدح واستخلاص القيم الدينية والإنسانية من سيرته ورسالته، ويتتبع تطور هذه القصائد كي يخلص إلى

مجموعة من النتائج تتعلق بطبيعة البنية الشعرية والقاموس والأخيلة والمواقف.

٤. «محمد رسول الله في عيون الشعراء المسيحين: قصيدة وحي البردة للشاعر المسيحي ميخائيل ويردي نموذجا»، مقال للكاتب أبوبكر اي كي (٢٠١٦م) طبع في صفحة موقع " نداء الهند " مخزن مفتوح للموروث الهندي العلمي الثقافي الأدبي. يحاول الباحث أن يبيّن أهمية قصيدة ميخائيل ويردي في مدح أشرف الخلق محمد (ص)، مع إلقاء النظر في أهميته وأثره على بعض الشعراء المعارضين المسيحين في قصائدهم في مدح الرسول (ص). تطرّق فيه إلى أشهر شعراء نصارى العرب في العصر الجديد، ميخائيل ويردي وقصيدته "وحي البردة"– التي تعتبر اول قصيدة يعارض قصيدة البردة للإمام البوصيري في مدح النبي (ص).

٥. «المديح النبوي وبواعثه في الشعر المهجر»، مقال للباحثين محمد الخاقاني ومحمدرضا عزيزي بور (١٣٨٧ش) طبع في مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها؛ حيث تطرق فيه الباحثان إلى رؤى شعراء المهجر في المدائح النبوية ووصلا إلى أن هناك بعض شعراء المهجر اعتقدوا بوحدة الأديان، فعلى هذا نظروا إلى النبي (ص) نظرة إجلال وإكبار. وبعضهم الآخر وهم الأغلب، أشادوا بالنبي (ص) الذي نقل العرب من غياهب الجهل والتخلف إلى فضاء العلم والنهضة، فتمنوا أن ترجع عصور الإسلام الزاهية من جديد. وأصبح النبي (ص) عندهم رمزاً للتعبير عن القضايا القومية.

وأما فيما يتعلق بنظرية المحتوى السائد أو الانعكاس لهانري زالامانسكي كتب أعمال قليلة جدًا، ومن أهمها ما يلي:

١. «تحليل جامعه‌شناختی شعر «شاملو» و «ابوماضی» بر پاية نظرية «زالامانسكی» مقال للباحثين مرجان على اكبرزاده زهتاب وحسين يزدانى (١٣٩٨ش) وقد تم نشره في مجلة بحوث اللغة الفارسية وآدابها في معهد العلوم الإنسانية والدراسات الاجتماعية. تهدف هذه المقالة إلى توضيح انعكاس الأحداث الاجتماعية في شعر شاملو وأبي ماضي، استناداً إلى نظرية المضمون السائد لـ "هانري زالامانسكي" المستندة إلى "علم اجتماع الأدب" بمنهج مقارن. وظهرت نتائج البحث أن التغيرات الاجتماعية المعاصرة في إيران ولبنان كان لها وظيفة واضحة في شعر شاملو وأبي ماضي، وخلقت موضوعات مشتركة في الشعر الملتزم لهذين الشاعرين الإيرانيين واللبنانيين؛ حيث إن استجابة هذين الشاعرين وحلهما لمشاكل مجتمعهما – والتي تتبلور من وجهة نظر زالامانسكي في مختلف الأنواع الأدبية – هو "النضال من أجل الحرية".

٢. «بازتاب طبقات اجتماعی در طنز فارسی: كاوشی در نحوه بازتاب ويژگی‌های طبقات اجتماعی ايران در آثار پنج تن از طنزپردازان معاصر» كتاب لفرهاد درودگريان ومحمد كشاورز (١٣٩٨ش) طبع في منشورات "پايا". في

هذا الكتاب البحثي، تم تناول العلاقة بين المجتمع والأدب وفحص الوظائف المحددة للأعمال الأدبية في فترات تاريخية مهمة، حيث إن الجزء الرئيسي من العمل، بالاعتماد على منهج علم اجتماع المحتوى (المنهج الذي اقترحه هانري زالامانسكي)، يدرس انعكاس حضور الطبقات الاجتماعية في الأعمال الخيالية لخمسة من الساخرين المعاصرين. يسعى العمل الحالي إلى الإجابة على السؤال حول مدى قدرة هؤلاء الساخرين على عكس واقع المجتمع وتطلعات ورغبات وهموم الطبقات الاجتماعية المختلفة في أعمالهم، وما هي جودة التمثيل والانعكاس لأعضاء الطبقات الاجتماعية المختلفة في أعمالهم.

٣. «تحليل جامعه شناختى خاطره داستان روز سانحه بر اساس الگوى زالامانسكى» مقال للكاتبين مريم اكبرى وخليل بيگ زاده وعيسى نجفى (١٤٠٠ش) نُشر في مجلة "پژوهشنامهٔ جريان شناسى شعر و داستان ادبيات معاصر ايران" (أبحاث حول تدفق الشعر والرواية في الأدب الإيراني المعاصر) بجامعة شهركرد. تهدف الدراسة الحالية إلى توضيح مؤشرات الهوية الوطنية والدينية، بالاعتماد على النموذج الذي اقترحه هانري زالامانسكي (علم الاجتماع الموجه نحو المحتوى) في ذاكرة قصة يوم الحادث، وذلك من خلال منهج وصفي تحليلي. وقد حاولت التعبير عن الروابط الحقيقية القائمة بين المجتمع وذاكرة يوم الحادث، استناداً إلى تقرير عن فترة تاريخية واجتماعية (فترة الدفاع المقدس). وتشير نتائج البحث إلى أن التعاليم الدينية الشيعية تلعب دوراً كبيراً في إعطاء الهوية للمجتمع الإيراني، وأن مقومات الصبر والتسامح في مواجهة الصعوبات، والاستشهاد، والوطنية، والإيمان بالعقائد الدينية مثل التوحيد والنبوة والمعاد وغيرها، هي أبرز مقومات هوية المجتمع الإيراني التي تجلت في يوم الحادث.

٤. «واكاوى مفهوم «آگاهى طبقاتى» در رمان‌هاى على‌محمد افغانى برپايه نظريه هانرى زالامانِسكى» عنوان مقال لسيد محمد آرتا والياس نورايي (١٤٠٣ش) نُشر في مجلة نقد الرواية الفارسية المعاصرة في جامعة بيام نور. استناداً إلى نظرية هانري زالامانسكي حول المحتوى الاجتماعي للروايات، قدم مؤلفا هذه الدراسة قراءة اجتماعية لأربع روايات هي: بافته‌هاى رنج، شوهر آهوخانم، شادكامان درّهٔ قره‌سو و دكتر بكتاش، وهي من الأعمال الأفغانية البارزة، وقاما بتحليل مفهوم الوعي الطبقي في هذه الأعمال الأربعة على أساس منهج علمي. واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وتم تحليل البيانات باستخدام أسلوب تحليل المضمون. وتشير نتائج تصنيف محتوى الروايات الأفغانية إلى أن الوعي الطبقي هو أحد المحتويات المتكررة في الروايات الأربع المذكورة.

٥. «بررسى مجموعه داستان «تيله آبى» اثر محمد رضا صفدرى براساس جامعه‌شناسى محتوا» مقال للباحثين زيبا قلاوندى وعلى حاجى پور (١٤٠٣ش) وقد تم نشره في مجلة بحوث الأدب القصصي بجامعة رازي في كرمانشاه. يهدف هذا البحث إلى إجراء تحليل اجتماعي لمجموعة القصص القصيرة "تيله آبى"، مع التركيز على المحتوى الاجتماعي

للقصة، استناداً إلى نظرية هانري زالامانسكي. يعتمد البحث الحالي على الدراسات المكتبية، ويتم إجراؤه بمنهج وصفي تحليلي. وتظهر النتائج أنه بالإضافة إلى طبيعتها الجماعية، فإن الرخام الأزرق لديه اتصال متبادل مع المجتمع. وتلعب عادات ومعتقدات شعوب الجنوب دوراً بارزاً في ذلك. لا يزال الإيمان بالمخلوقات الأسطورية واعتبار الأشجار مثل أشجار النخيل والحيوانات مثل النمر مقدسة من المعتقدات الشائعة بين سكان الجنوب.

وغيرها من الدراسات القيمة التي نشرت على المواقع الالكترونية من هنا وهناك، ورغم ذلك لم نعثر على دراسة مركزة لموضوع المقال: تحليل سوسيولوجي للمدائح النبوية في الشعر العربي المعاصر على ضوء نظرية "زالامانسكي". يشير المؤلف إلى أنّه استفاد كثيرًا من هذه الأعمال القيمة وملأ أمتعته بهذا المصدر العظيم. لكنّه يقول بتواضع إنّه لا يزال هناك مجال للنقاش؛ إذ لم يتطرق أحد إلى مضامين المدائح النبوية السائدة في الشعر العربي المعاصر على ضوء نظرية "زالامانسكي"- في حدود ما نعلم -.

٣-١- منهج البحث

إن منهج البحث هو وصفي - تحليلي قائم على نظرية المضامين والمحتويات السوسيولوجية السائدة عند هانري زالامانسكي، والتي يتم إجراؤها في مضامين المدائح النبوية لدى الشعراء العرب المعاصرين.

٢- الإطار النظري للبحث

٢-١- علاقة الأدب بالبيئة والمجتمع

لطالما نظر المفكرون والمنظرون في مفهوم العلاقة بين المجتمع والأدب. عندما يتحدث أفلاطون عن الشاعر وعلاقته الشعرية بالجمهور في كتابه "الجمهورية" وترفض التأثير الإيجابي للشاعر في الحياة الاجتماعية للجمهور، ممّا يشرع في مناقشة العلاقة بين الأدب والمجتمع (دستغيب، ١٣٧٨ :٨٠). بعد أفلاطون، ناقش أرسطو أيضًا بحث المحاكاة وأوضح علاقة الصورة الفنية بالواقع الاجتماعي. ولكن من الواضح أنّه تمّ وضع الأسس الأولى لعلم اجتماع الأدب المستقل في بداية القرن التاسع عشر. ومادام دو استائل (١٧٦٦ - ١٨١٧) هي التي أرست الأسس الأولى لهذا العلم في القرن التاسع عشر؛ ثمّ جادل هيبوليت تون (١٨٢٨ - ١٨٩٣) الناقد والفيلسوف والمؤرخ الفرنسي، بأنّ الظواهر الاجتماعية قد تأثرت بثلاثة عوامل وهي: العرق والبيئة والوقت (عسگري، ١٣٨٧: ٤٦). يمكن تفسير العلاقة بين المجتمع والأدب ببساطة شديدة، كما نتمكن من أن نقول إنّ الأدب هو المرآة الكاملة للمجتمع، أو قوة اجتماعية، أو جزءٌ من الحياة الاجتماعية. يفرض المجتمع والظروف الاجتماعية لكل فترة تأثيرًا عميقًا على أيّ عمل فني قدم في تلك الحقبة، وهو تأثير يستلمه المؤلف أو المصنف

عن غير قصد في عمله، وإذا سألناه عن هذا التأثير، فربّما يرفضه؛ بحيث يعتبر البعض أنّ الأعمال الأدبية هي نتاج الحياة والبيئة الاجتماعية دائمًا، ولا سيّما النقاد الماركسيون الذين يعتقدون أنّ وجود الفنان وأعماله ينتمي فقط إلى بيئته الاجتماعية. يعتقد هؤلاء النقاد أنّ المجتمع موجود مسبقًا قبل العمل الأدبي ويُلزم المجتمع المؤلف بالتعبير عن المجتمع. والعوامل الاجتماعية هي التي تسبب تغيرات في الأساليب والتقنيات الأدبية وتغطي طريقة التفكير الخاصة في فترات معينة من أدب تلك الفترة. إذن فإنّ المجتمع هو الأصل الأساسي لعملية خلق الشعر واختراعه؛ لأنّ الشاعر يعيش في مجتمع معين تربطه علاقات اقتصادية واجتماعية وثقافية بهذا المجتمع. إنّه ينتمي إلى فئة اجتماعية معينة يؤمن بإيدئولوجية وفكر خاص في كلّ حقبة زمنية. ومن ثمّ فهي تتأثر سلبًا أو إيجابًا بالمجتمع في تأليف قصائده (عسگري، ١٣٨٧: ٥٢). يعبّر أدونيس عن هذه الحقيقة بطريقة تمثيلية هكذا: «على الرغم من أنّ العشب مكيف بالماء، إلا أنّه شيء آخر غير الماء؛ إنّ الإنسان مشروط بالظروف الاقتصادية والاجتماعية ولكنّه يختلف عن تلك الظروف وإلا لما كان قادرًا على تغيير الواقع أو خلق واقع جديد. تؤثر الظروف الاجتماعية والسياسية على جودة تكوين العمل الأدبي؛ ولكن ليس ذاك العمل بعينه» (آدونيس، ١٩٧٤: ٢٤٧/٣). مما سبق، يمكن أن نستنتج أنّ العلاقة بين الأدب والمجتمع ليست علاقة سلبية تعكس فقط الوضع الاجتماعي في عصره؛ بل سيكون الأدب مؤثرًا كذلك في تشكيل السياق الخارجي. لذلك، فإنّ منشئ العمل الفني ليس دائمًا منفعلا؛ بل يشارك مشاركة فعالة في تطور المجتمع وتشكيل ثقافة جديدة له.

٢-٢- هانري زالامانسكي ونظريته

يُطلق زالامانسكي، عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر الذي يعمل حاليًا أستاذًا في جامعة بيردو في ويست لافاييت بولاية إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، على طريقته المقترحة اسم علم اجتماع المحتوى، وهو مفيد في تحديد الأنماط الإيديولوجية التي يتم تقديمها للتأثير على وعي القراء. ويعتقد أنه من خلال رسم خريطة لمحتوى الأعمال وتصنيفها، يتم توفير المواد الأكثر اكتمالاً لدراسة علم اجتماع الأدب. زالامانسكي أحد متعاوني روبراسكاربيت وأستاذ في جامعة بيردو. وفقا لزالامانسكي، فإن الأبحاث التي أجريت في مجال علم اجتماع الأدب حتى الآن وصلت بشكل أساسي إلى مفترق طرق.

١- المنهج البحثي التجريبي: ويقصد به دراسة الظاهرة الأدبية بمساعدة أساليب اجتماعية محددة، وقد تبناها على وجه الخصوص روبرت سكاربيت.

٢- مسار البنائية التكوينية أو علم اجتماع الإبداع الأدبي الذي سلكه لوسيان غولدمان. الأول منهما قيم للغاية، لأنه يتناول ظاهرة الأدب من منظور اجتماعي حقيقي. الطريقة التي اقترحها زالامانسكي، والتي تتجه في حد ذاتها نحو

البحث التجريبي. يقول زالامانسكي: "هدفنا هو أن نتمكن من دراسة ما يعكسه الأدب، وما يؤثر عليه في المقابل، من وعي جماعي. ومن شأن هذه الطريقة أن تزودنا بمعلومات بالغة الأهمية عن العالم الثقافي الذي نعيش فيه، وأن تلقي المزيد من الضوء على العلاقة بين الأدب والمجتمع". إن هدف علم اجتماع محتوى العمل الأدبي هو تمكيننا من الإجابة على السؤال: ما هي الصورة التي يصورها الأدب عن مجتمعنا؟ وفي المقابل، ما الذي تم تقديمه للمجتمع؟ ومن الواضح أن زالامانسكي لا يسلك المسار الذي اقترحه غولدمان؛ لأن موضوع دراسته هو تحديد المحتوى الإيديولوجي لمجموعة من الأعمال في فترة زمنية معينة. في الواقع، يدرس عالم اجتماع المحتوى العمل الأدبي باعتباره وثيقة اجتماعية. في هذه الحالة، كلما كانت بنية العمل أبسط، كان جانبه الاجتماعي أكثر وضوحًا. ومن الممكن الحصول على نتائج اجتماعية أسرع من ذلك. ولهذا السبب عادة ما يتم إهمال الجانب الجمالي للعمل الفني في هذا النهج، ويعتبر هذا عيباً في هذه الطريقة. في الواقع، فإن الغرض من دراسة وتحليل محتوى الأعمال الأدبية هو تصنيف ووصف الرسائل والموضوعات الاجتماعية والسياسية والثقافية والتاريخية. الذين نقلوا الأعمال الأدبية إلى جماهيرهم.

تنظر نظرية الانعكاس إلى الفن باعتباره مرآة للمجتمع، وتبحث في مدى توافق محتوى الأعمال مع ما يحدث في الواقع الاجتماعي. يعتقد زالامانسكي أن فحص المحتوى هو المهمة الأكثر إلحاحاً في علم اجتماع الأدب وعلم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بدراسة الإنسان وعلاقاته في المجتمع. إن الثقافة هي نتاج التواصل الاجتماعي، والأدب هو إحدى هذه الظواهر الثقافية، ومبدع العمل الأدبي هو مصور المجتمع في عمله الفني (زالامانسكى: ٨١، ٣٢٠). بحسب نظرية الانعكاس فإن الأعمال الفنية هي انعكاس للظروف والطقوس الموجودة في المجتمع وقت إنشاء العمل الفني، وفي الواقع فإن الأعمال الفنية، مثل المرآة غير القابلة للصدأ، تصور صورة المجتمع.

تعتبر نظرية نقد المحتوى لهانري زالامانسكي واحدة من أهمّ فروع النقد السوسيولوجي وأكثرها كفاءة؛ حيث يركز الباحث الذي يخطو إلى ساحة النقد الأدبي السوسيولوجي، في هذه النظرية، على موضوع العمل الأدبي والمحتوى المهيمن عليه، ومن خلال معرفة المضامين المعروضة في ذاك العمل، يحصل على أهمّ التيارات والاتجاهات الفكرية الهامة في مجتمعه. في الواقع، يتعرف القارئ من خلال معرفة المحتويات التي عبّر عنها المؤلف في عمله، على الأنماط الأيديولوجية والتيارات الفكرية الشائعة في مجتمعه. وبعد دراسة متأنية وعميقة لمحتوى العمل الأدبي، يحاول أن يحصل على المعلومات التي يقدمها هذا العمل حول القضايا السياسية والاجتماعية المحددة التي كانت تدور في المجتمع خلال فترة كتابة العمل. يدرس زالامانسكي بهذه المقاربة، الأعمال الأدبية ويحلّلها اجتماعيًا. وهو يعتقد أنّه من خلال تحليل محتوى الأعمال وتصنيفها، يتمّ توفير المادة الأكثر اكتمالاً للدراسة الاجتماعية للأدب. في هذه المقاربة، تصبح الأعمال الأدبية وثائق اجتماعية، والتي من خلال التركيز ومعرفة المحتوى والموضوعات الاجتماعية فيها، يمكن للمرء أن يفهم عملية الأحداث

التاريخية وطريقة التغييرات في المجتمع الذي تمّ فيه إنشاء تلك الأعمال الأدبية.

وظّف زالامانسكي أيضًا طريقة أخرى، من أجل الحصول على نتيجة مرغوبة أكثر وإكمال نظريته، وهي علم اجتماع الأنواع الأدبية، ممّا يعني أنّ كل نوع أدبي له خصائصه الفريدة من حيث المساحة الفكرية والميول الاجتماعية. ومن وجهة النظر هذه، فإنّ الأنواع الأدبية المختلفة لها اختلافات جوهرية عن بعضها البعض. وهذا يعني، اعتمادًا على ما إذا كنا نتعامل مع رواية أو مسرحية أو قصيدة، علينا أن نواجه إجابات مختلفة. تخلق هذه الإجابات المختلفة وظيفة كل نوع – أي طريقة محددة للتعامل مع مشكلة– وهذه الإجابة الخاصة بالنسبة لنا هي سمة كل نوع (زالامانسكي، ١٣٧٧ش: ٢٧٤). في السياق ذاته، يشار في نص هذا المقال إلى نوع تجاوب الشعراء العرب المعاصرين مع مشاكل مجتمعهم أثناء تأليف المدائح النبوية. وتُناقش الموضوعات والمحتويات المهيمنة لهذه المدائح لدى الشعراء العرب المعاصرين.

٣– الإطار التطبيقي للبحث

١–٣– مقارنة مضمون المدائح النبوية وأساليبها في العصر الحاضر والعصور السابقة

وفقًا لنظرية زالامانسكي، فإن الأنواع الأدبية ومحتواها تخضع للتغييرات في أوقات مختلفة، وهذه التغييرات ناجمة عن الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في فترات مختلفة (زالامانسكي، ١٣٧٧ش: ٢٧٠). تأثرت المدائح النبوية أيضًا بهذه التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية، وتطورت أسلوبًا ومضمونًا في فترات مختلفة. لقد تناول الشعراء الذين مدحوا الرسول (ص) منذ عهد الرسول (ص) إلى عصرنا هذا كل جانب من جوانب شخصيته وحياته تقريباً. مولده، ونسبه، وطفولته، ومراهقته، وشبابه، وزواجه، وتجارته، ورسالته، وهجرته، وغزوات أصحابه وأهل بيته (عليهم السلام)، وقراراته وأفعاله، وحروبه وسلمه، ووفاته، كلها مواضيع تناولها مديح النبي (ص)، وقد تناول كل شاعر هذه القضايا بطريقة مختلفة بحسب اعتقاده الشخصي، وموهبته الشعرية، وأهدافه وأغراضه. وقد اهتم شعراء الصوفية، وشعراء الشيعة، وشعراء الخوارج، وغيرهم من الفرق والطوائف بأهدافهم واتجاهاتهم الفكرية في هذه المدائح، ويمكن القول عموماً إن كل المواضيع المذكورة موجودة أيضاً في المدائح النبوية في العصر الحديث، وبعض هذه المواضيع كانت تقليداً لمدائح العصور السابقة، وبالطبع فإن أغلبها قد طرحت بمعاني ومفاهيم جديدة. على سبيل المثال، يمتلك الشعراء المعاصرون منظورًا مختلفًا وحديثًا لقضايا مثل البعثة، والهجرة، وما إلى ذلك. ويستخدمون هذه المواضيع كشفرة ورمز، ويعطونها معاني جديدة تتناسب مع الحياة والعالم الجديد للإسلام اليوم. على سبيل المثال، فإن شعراء هذه الفترة لديهم وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر بوصيري فيما يتعلق بقضية الهجرة؛ حيث يقول عن هجرة النبي (ص):

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق في الغار والصديق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من إرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم

في هذه الأبيات يروي لنا البوصيري حدثاً تاريخياً بلغة بسيطة. ولكن في العصر المعاصر لم يكن شعراء المديح النبوي يرون ضرورة لسرد حدث تاريخي بمثل هذه التفاصيل؛ بل إنهم أشاروا إلى هذه الحركة باعتبارها رمزاً للتعبير عن رغباتهم ورغبات أمتهم، فضلاً عن كونها نموذجاً. فمثلاً يشير صلاح عبد الصبور في قصيدته "الخروج" إلى هجرة الرسول (ص) من مكة إلى المدينة، وتحقيق السلام وتوطيد الحكم الإسلامي، وتحقيق الشرف والعزة، والابتعاد عن الماضي المظلم الغامض، كما يتمنى هجرته وهجرة أمته. ويأمل أن ينتقل هو وأمته من ماضيه الحزين والمظلم إلى أفق جديد وعالم جديد اليوم والمستقبل، ويخطو إلى أرض المستقبل الآمنة والمسالمة ويترك أرض الماضي المظلمة والكئيبة. يقول عبد الصبور في جزء من هذه القصيدة:

أخرج من مدينتي من موطني القديم
مطرحا اثقال عيشي الاليم
فيها وتحت الثوب قد حملت سري
أخرج كاليتيم
لم أتخيرا واحدا من الصحاب
لكي يفديني بنفسه فكل ما أريد قتل نفسي الثقيلة
حجارة أكون لو نظرت للورا

وتشير الشاعرة الفلسطينية المعاصرة فدوى طوقان أيضاً إلى عام المولد النبوي الشريف في قصيدتها "حكاية لأطفالنا"، عام الفيل، الذي ارتقى فيه العالم العربي بفضل المولد المبارك لنبي الإسلام (ص) من حالة اليأس والجهل والاختناق إلى مرحلة الأمل والنصر والفخر. ومن وحي هذا الحدث التاريخي المهم، تشير فدوي طوقان في قصيدتها إلى عام ١٩٧٣، عندما انتصر العرب في الحرب مع إسرائيل بعد ستة أيام. حرب جعلت العرب يخرجون من نومهم الغارق في الإهمال والجهل. وتعتقد الشاعرة أن هذا العام أصبح مصدر خير وبركة وهداية وتوعية للعرب، كما كان عام الفيل للعالم أجمع. تقول فدوي طوقان في جزء من هذه القصيدة:

وجاء عام الفيل
ممتطياً مسافه

تقطعها الفصول بين الموت والحياه
تفجّر الصوت العظيم بالرعود والبروق
حاملاً النبوءة
مجتثًا الخرافة

ويتحدث علي أحمد باكثير في قصيدته "إما أن نكون أو لا نكون" عن هزيمة المسلمين في معركتي أحد وحنين، وعن ضعف معنويات المسلمين، ودور القيادة الواعية الحكيمة للنبي (ص) في تجديد معنويات المسلمين ومواجهة اليأس والإحباط الذي ساد المسلمين، ويشير إلى أنه بما أن النبي (ص) هُزم مع تلك الشخصية النبيلة، فلا ينبغي لنا نحن أيضاً أن نيأس من الصهاينة بسبب الهزيمة، بل ينبغي لنا أن نستعيد رشدنا ونأخذ العدو على محمل الجد، ونتعلم من الهزائم، ونفكر في الوحدة والتكامل أكثر من أي وقت مضى. ومن ثم فإننا نرى أن شعراء هذه الفترة، كما شعراء الفترات السابقة، نظموا قصائد تتناول كافة جوانب شخصية وحياة الرسول (ص). ولكن في هذه الفترة كل كلمة من الكلمات التالية: ميلاد، بيعة، خديجة، هجرة، مكة، مدينة، عام الفيل، غار حراء، غار ثور، عنكبوت، معجزة، قرآن، أحد، بدر، وغيرها تحتوي على معاني أحدث وأوسع من الفترات السابقة. إنّ الشاعر في هذه الفترة يقلد الفترات السابقة فيلجأ إلى الرسول (ص) في نهاية قصيدته، ولكنه هذه المرة لا يطلب من الرسول (ص) الآخرة ومغفرة ذنوبه؛ وإنما طلبه ومطلبه هو الدعاء للمجاهدين الفلسطينيين، ولأرض فلسطين، ولسائر القضايا في العالم الإسلامي. ويطلب من النبي (ص) النصر للمجاهدين الفلسطينيين وخلاص هذه الأرض المظلومة فيقول:

باركَ جهادَ المؤمنين النافرين إلى الطعان
الضارعين إليكَ باسم الآل والصُحب الغران
بيوم مولدكَ السنيّ وحقق مُوحيكَ القرآن
أن تُصون دماءهم وامنح فلسطين الصّيان

ولكن نتيجة للتطورات التي طرأت على مجال الشعر والأدب في العصر المعاصر تأثرت أيضاً قصائد هؤلاء الشعراء في مدح الرسول (ص) واتخذت صبغة جديدة. يشير هذا التغيير المضموني إلى انعكاس الخصائص الاجتماعية لكل فترة تاريخية في النوع الأدبي الذي تشكل في نقطة زمنية محددة (زالامانسكي، ١٣٧٧: ٢٧١). المبدأ هو أن كل فترة تخلق نوعها الخاص، وهناك العديد من أوجه التشابه بين الأنواع، ولكن المتغيرات مثل البنية الاجتماعية، والثقافة، والطبقة الاجتماعية، وشخصية الفنان لها تأثيرها. لقد تغيرت الأنواع الأدبية عبر التاريخ الأدبي، ويرتبط انتشار نوع أدبي معين وقبوله بالمجتمع (المصدر نفسه: ٢٧١). لكن أسلوب وطريقة الشعراء المعاصرين في مدح النبي (ص) مختلف وجديد

تماماً. وفي هذا النوع من الشعر اختفت تقريباً قصيدة المدح النبوي كقصيدة كاملة ذات مقدمة وجزء رئيسي وخاتمة، وأصبحت المدح النبوي في هذا النوع من الشعر إشارة عابرة إلى النبي (ص) أو إلى أحد وقائع وأحداث عصره. في هذا النوع من الشعر، أثناء تناوله للموضوعات الرئيسية لقصيدته، يشير الشاعر في منتصف القصيدة أو في نهايتها إلى النبي (ص) أو إلى أحد الأحداث والوقائع المتعلقة به كرمز، من أجل غرس احترامه لدى المسلمين والعرب أو لتشجيعهم على معالجة بعض القضايا الراهنة في المجتمع ومنع اليأس والإحباط في المجتمع الإسلامي، أو أخيرًا في بضع جمل قصيرة يصفه ويمدحه بإيجاز (يراجع: الكاتب، ١٩٧٣: ٩). ولذلك فإن أول ما يلفت النظر في الأسلوب الشعري في مدائح هذه الفترة، والذي يميزها إلى حد كبير عن مدائح الفترات السابقة، هو أنه ليس في مدائح هذه الفترة ترتيب معين في تناول الموضوعات المختلفة، ولا يرى الشاعر نفسه ملزماً بهذا الترتيب والتفصيل لجميع جوانب شخصية الرسول (ص) وجميع جوانب حياته (ص). بل إنه يشير إلى جزء منه كرمز للتعبير عن القضايا الراهنة في المجتمع. وهذا ما يؤكد عليه زالامانسكى حيث يرى أنه من خلال تحليل الأعمال الفنية والأدبية من مختلف العصور، بالإضافة إلى فهم وتلقي استجاباتها للقضايا السياسية والاجتماعية والثقافية في ذلك العصر، يمكننا أن نفهم ما كانت حلولها لحل تلك القضايا. من خلال دراسة محتوى الأعمال المعاصرة، نفهم كيف أثيرت قضايا عصرنا وما هي الحلول التي تم العثور عليها. إن مجموعة هذه الاستجابات التي يقدمها كل كاتب كفرد تعرّفنا على الأنماط الإيديولوجية التي تُعرض على القراء للتأثير على وعيهم (زالامانسكي، ١٣٧٧: ١٢٦). وبطبيعة الحال، فبمجرد أن يقدم الشاعر النبي (ص) كقدوة للمسلمين في مواجهة المشاكل، والدفاع عنهم ضد الأعداء، وتوحيد المسلمين وتوحيد صفوفهم، فهذا الأمر يشتمل ضمناً على جميع مدح النبي (ص) وصفاته الحميدة، ويعتبر نوعاً من الثناء عليه (يراجع: القاعود، ١٩٨٧: ٤١٤).

مع بداية الحركة الأدبية في أوائل القرن العشرين، فقد الشعر العربي مكانته كتقنية للتعبير ووصف القضايا المتعلقة بالماضي العربي، مثل مدح الملوك وشيوخ القبائل، ووصف الجوانب الحسية وغير الحسية للحبيب. وتقليداً للأدب الغربي، أصبحت الظروف الاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية للمجتمع، وتحليل ودراسة مختلف القضايا المعاصرة، محور اهتمام الشعراء في هذه الفترة. ولكل شاعر وجهة نظر مختلفة تجاه القضايا، تبعاً لميوله الفكرية والدينية. لكن النقطة المشتركة بين جميع شعراء هذه الفترة هي القضايا الحالية للمجتمع، ولم يعد هناك أي أثر للقضايا القديمة العميقة الماضية؛ على الرغم من أن بعض الشعراء يتعاملون أيضًا مع مواضيع تاريخية وماضي؛ لكن نفس الشعراء يسعون إلى تحقيق هدف يتجاوز الموضوع نفسه في معالجته. لقد اتجه كبار شعراء الحركة الأدبية ورواد الحداثة في مختلف المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية إلى شخصية الرسول (ص) منذ العقد الثالث من القرن العشرين، وتناول كل منهم شخصية الرسول (ص) من منظوره الثقافي واتجاهه العلمي والفكري. ولذلك نرى أن أشخاصاً مثل طه حسين كتبوا كتاب "علي هامش

السيرة"؛ ولمحمد حسين هيكل كتابان: «في منزل الوحي»، ثم «حياة محمد». وكتب عباس محمود العقاد كتاب "عبقرية محمد"، وكتب توفيق الحكيم مسرحية "محمد"، وكل منهما تناول جانباً من شخصية الرسول (ص)؛ لكن أهداف وأغراض تناول هذه القضية، وخاصة مدح النبي من قبل الشعراء، مختلفة تماما عما كان يسعى إليه في الماضي (مكي، ١٩٩١: ١٥٣). على سبيل المثال، أهداف مثل تكريم محمد (ص)، وحب النبي (ص)، ووصف سيرته بدقة، وغيرها، أفسحت المجال للدعوات إلى الوحدة بين الدول الإسلامية والعربية (جامعة الدول العربية)، والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني، ودعم الشيعة في جنوب لبنان، والدعوة إلى المقاومة ضد الغرب وغزواته العسكرية والثقافية، وغيرها.

في المدائح النبوية المعاصرة، على خلاف الفترات السابقة، لم يكن الهدف الأساسي للشاعر هو مدح النبي (ص) بصدق؛ بل إن كثيراً من هذه المدائح، وبخاصة عند الشعراء المحدثين، كانت تتضمن مدح النبي (ص) بشكل مختصر وموجز، إلا أن الهدف الأساسي للشاعر كان غير مدح النبي (ص). سعى شعراء هذه الفترة إلى تحقيق أهداف وطنية وعرقية، مثل تشجيع المسلمين على مواجهة الاستعمار، والدعوة إلى التقدم العلمي والاجتماعي، والدعوة إلى الوحدة وتشكيل جامعة عربية، ومحاربة النظام الصهيوني العنصري. ومن أبرز ما يميز المدائح النبوية المعاصرة، والتي تميزها تماماً عن العصور السابقة، أن تلك القدسية الخاصة التي نسبها شعراء العصور السابقة إلى النبي (ص) في شعرهم، لا نجدها في المدائح النبوية المعاصرة. على سبيل المثال، يقيم الشاعر اتصالاً هاتفياً مع النبي (ص) ويتحدث معه بسهولة، أو يستخدم عبارة "الموت" للنبي! ولكن في العصور السابقة لا نجد شاعراً يخاطب النبي (ص) بهذه الطريقة. بل كلموه بذكر الصفات مثل: أفضل البشر، وخير الصالحين، وخير المرسلين، وغير ذلك.

٢-٣- المدائح النبوية في الأدب العربي المعاصر

إن أحد مناهج علم اجتماع الأدب هو تحليل محتوى العمل الأدبي، ويرى منظره البارز هنري زالامانسكي أن تحديد وفحص المحتوى الإيديولوجي لمجموعة من الأعمال في فترة زمنية معينة هو أمر مهم. وفي رأيه فإن القضية الأساسية والأولى هي فهم ما يتم تقديمه للقراء في البداية. أي ما هو المحتوى الذي تم نقله إليهم؟ محتوى يعكس ويخلق الوعي الجماعي في نفس الوقت. وهو يطلق على هذه الطريقة اسم علم اجتماع المحتوى (زالامانسكى ١٣٧٧: ٢٧٢). يحتل أدب مديح النبي بأشكاله المختلفة مثل الشعر، والقصة، والرواية، والمذكرات، مكانة مهمة في الأدب المعاصر، ويتأثر بسياق سياسي واجتماعي محدد. وفقًا لنظرية هنري زالامانسكي، فإن العمل الأدبي هو وثيقة اجتماعية. لذلك، كلما كانت بنية العمل أبسط وكلما كانت جانبه الاجتماعي أكثر وضوحًا، كان من الممكن الحصول على نتائج اجتماعية منه بشكل أسرع (زالامانسكى نقلا عن عسكرى حسنكلو :١٣٨٧: ٥١). لذلك فإن المدائح النبوية، مع مراعاة

طبيعة الموضوع الحقيقية، وكذلك طبيعة الخطاب الشعبية وعدم اقتصاره على طبقة أو فئة معينة، تحتوي على جوهر المواد الأدبية الأكثر واقعية وشيوعية. ولذلك فإنها تحمل قيمة اجتماعية ويمكن دراستها من هذا المنظور. وبما أن كل مؤلف يجيب على مجموعة من الأسئلة والاحتياجات الاجتماعية والسياسية والثقافية وحتى الفلسفية في عصره؛ ومن خلال دراسة محتوى الأعمال التي أنشئت في فترة معينة، يمكننا أن نفهم كيف أثيرت قضايا كل فترة في النصوص الأدبية (زالامانسكى، ١٣٧٧: ٣٢٢). بناء على ذلك فقد اتخذت المدائح النبوية شكلاً محدداً في كل فترة بسبب السياق الزمني المحدد لتلك الفترة، وتغير محتوى المديح النبوي بسبب الظروف والمتطلبات المحددة لذلك العصر. إن الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية تؤدي إلى ظهور نوع معين من الشعر أو اختفائه. وفقًا لزالامانسكي، "إن العمل الأدبي هو ظاهرة اجتماعية بقدر ما هو إبداع فردي" (زالامانسكي، ١٣٧٧: ٦٦). يذكر هنري زالامانسكي (حول العلاقة بين النوع الأدبي والمجتمع) أنه: من خلال دراسة علم اجتماع الأنواع الأدبية وتصنيف محتوى وموضوع الأعمال، نفهم قضايا تلك الحقبة المعينة ونفهم الوظائف المختلفة لكل نوع في فترات محددة، مما يخلق خصائص ذلك النوع ويصور خصائص تلك الحقبة (زالامانسكى، ١٣٧٧: ٢٧٣). بحسب نظرية زالامانسكي فإن مضمون المدائح الأدبية قد تغير مع التغيرات التي طرأت على المجتمع، إلى درجة أنه مهما تقدمنا إلى الأمام لم يعد هناك ما يبقي إلا استحضار اسم النبي محمد (ص) كنداء في الشعر للتحرر من براثن المستعمرين. تشكل المدائح النبوية جزءاً كبيراً من التراث الإسلامي والعربي في الماضي، وقد نُظمت في هذا الصدد آلاف القصائد المفعمة بالمشاعر الدينية والإنسانية. لقد كانت هذه المدائح، في بداية العصر الحديث، محاولة لإحياء التراث الشعري القديم، ولكن لم يمض وقت طويل حتى تغير لونه التقليدي وتغلبت عليه الهموم الاجتماعية والسياسية، مما جعل هذا النوع من الشعر يشعر بالالتزام تجاه الأمة وقضاياها المصيرية. وبناء على التحولات التي طرأت على هذا المديح في الأدب العربي القديم والحديث، يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: ١- النزعة الشعرية الصرفة (الفئة الأولى). ٢- النزعة الشعرية المختلطة بالتصوف والتعاليم الدينية والفلسفة (الفئة الثانية). ٢- النزعة الشعرية ذات الصبغة الاجتماعية والسياسية (في الشعر المعاصر). وهذا ما يؤكده علم اجتماع المحتوى الأدبي، حيث يرى زامانسكي أن الأدب هو نتاج الأفكار السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، والمجتمع المستهدف هو الذي يتسبب في ظهور كل أنواع الأدب (زالامانسكى، ١٣٧٧: ٥٤). في بداية العصر الحديث تتراءى مجموعة من القصائد من مديح الرسول (ص) تقوم بالمعارضة و أحياناً فيها قليل من الإبداع و التجديد و تسمّى تلك القصائد بقصائد شعراء التيار الكلاسيكي أو الإتجاه التراثي في المدح. وكان محمود سامي البارودي، أحمد شوقي، أحمد محرم، علي أحمد باكثير، و معروف الرصافي و شعراء آخرون من برعوا في هذا الإتجاه الشعري. كانت معظم مدائح هولاء تقليدًا للقديم ومحاولة لإحياء التراث كما تدل أسماء قصائدهم على هذا ك"نهج البردة" و"همزية" شوقي و"كشف

الغمة في مدح سيد الأمة" للبارودي، فعارض الشاعران بردة البوصيري الشهيرة وقصائده الأخرى، وذلک في البداية، ولكن بعد مدة قليلة من الزمن، تغير هذا الإتجاه التراثي في المديح النبوي، فظهرت جماعة من الشعراء «اتخذوا المديح النبوي كوسيلة للتحدث عن الأغراض الاجتماعية والسياسية والقضايا العربية مثل قضية فلسطين والقدس و ... فدارت مضامينهم حول التحسّر مما آل إليه حال العرب ومناجاة الرسول (ص) لجمع شتات العرب ... والتحسر على عصور الإسلام الزاهية وقيادته الرشيدة والتمنّي لو أنا قائدًا يعيد أمجاد الماضي. وأصبح المديح النبوي في الشعر العربي المعاصر نوعاً من الشعر الاجتماعي النضالي يتحدث فيه الشاعر عن المشاكل التي يعاني منها العالم العربي المعاصر. إذن فاستبدلت محتويات سائدة وفقًا لنظرية هانري زالامانسكي في مضمون المدائح النبوية الكلاسيكية السابقة مثل: الاعتداد بالنبي الأكرم والتعبير عن فضائله وكراماته ومعجزاته ووصف دقيق لحياته و... إلخ، بدعوة للوحدة بين الدول الإسلامية والعربية، والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني، والنضال ضد النفوذ الاستعماري، وما إلى ذلك من القضايا السوسيولوجية المعاصرة التي نرى صداها في المدائح النبوية بأشكال متنوعة. بناءً على نظرية المحتويات السائدة للباحث الفرنسي "هانري زالامانسكي". إنّ التغيرات الاجتماعية المعاصرة في العالم العربي تركت أثرًا واضحًا على المدائح النبوية؛ حيث إنّ الجواب الوحيد والحلّ الشامل للشعراء العرب المعاصرين في مدائحهم النبوية، لحل مشاكل مجتمعهم – التي تبلورت هذه الإجابة من وجهة نظر زالامانسكي في أنواع أدبية مختلفة – هي "النضال من أجل الحرية" والكشف عن خطاب جديد لإصلاح مجتمعهم وازدهاره وتنميته. اذن فخرجت المدائح النبوية في هذا العصر من الفردية السالفة واتخذت طابعًا نضاليًا واجتماعيًا قويًا، كما نوقشت الشخصية الأرضية لتلك الحضرة الشريفة أكثر من شخصيته القدسية والملكوتية.

بحسب نظرية زلامانسكي الموجهة نحو المحتوى، فإن محتوى المديح النبوي قد تغير كلياً في العصر الحديث، ولم يعد مدح النبي يُقدَّم في شكل قصيدة كاملة أو في منتصفها ونهايتها كما كان سائدًا في العصور السابقة، بل إن الشاعر المعاصر يمتدح الرسول بشكل رمزي، وقد أدت الظروف الاجتماعية والسياسية التي تعيشها الأمتان العربية والإسلامية إلى ذلك وفقًا لنظرية الانعكاس لهانري زالامانسكي. بمعنى آخر، فإن المديح النبوي لا وجود له عند الشعراء العرب المعاصرين بالمعنى المتعارف عليه في الماضي، بل إن شكل المدائح النبوية ومضمونها قد تغير في العصور المعاصرة، فلم يعد الشعراء المعاصرون يذكرون اسم النبي إلا بنفس المعنى الرمزي، وهذا المعنى الرمزي نفسه يدل أيضاً على مدح وتمجيد النبي (ص). في هذا المقال، سيتم مناقشة بعض التغييرات في محتوى المدائح النبوية وبنيتها في الشعر العربي المعاصر في سياق القضايا الاجتماعية الراهنة:

١-٢-٣- الدعوة للوحدة بين الدول الإسلامية والعربية

متزامنا مع انهيار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم العربي إلى دول مختلفة وبلورة عوائق مثل الاختلافات الثقافية والاجتماعية بين الدول، والاختلافات في السياسات الحكومية، ... إلخ. هدّدت وحدة الدول العربية ومن هنا اعتبر بعض المفكرين العرب أن موضوع القومية هو المحور الأساسي في وحدة العالم العربي وتماسكه؛ فلهذا كتب ميشيل عفلق، المنظر السياسي العربي ومؤسس حزب البعث في العراق المعروف أيضًا باسم الأب الروحي والمعنوي لصدام حسين (١٩٣٧-٢٠٠٦م)، الرئيس العراقي السابق، كتابًا بعنوان "النبي العربي" أو الشاعر السوري وصفي كامل قَرَنْفُلي (1972 - 1911) في قصيدة بعنوان "محمد والعرب" يشير إلى ضعف وتدهور جيل الحاضر مناديا النبي الأكرم (ص) كمنقذ أرضيّ بإمكانه أن يوقد روح الهداية بينهم مرة أخرى، حيث يقول:

«**منقذَ الشرق قد أتيناك نَشكو / ضيعةَ الحقّ والخذال الأمانى / فَأحى فينا ميتَ العزائمِ وابعث / نائراتِ الهدى ودُرس المَبانى / قد أضعنا ذاك التّراثَ وضِعنا / فى شِعاب الحياة والوديَان**» (القرنفلي، ١٩٥٠: ٥٣).

نرى الشاعر يشكو من آلام الكتلة الشرقية ومعاناتها وكذلك دوس الأحلام وموت الإرادات وتدمير التراث العربي، وبالتالي يرى أنّ السبيل الوحيد لإنقاذ الإنسان المعاصر هو الاستدعاء شخصية الرسول الكريم والاستعانة به. من الملاحظ أنّ الشاعر يتكلم في قصيدته هذه، بلغة مجتمعه، ويدعوهم في طيات أشعاره إلى الاتحاد والبعث والشكاية من الوضع الحالي والمطالبة بالحرية. إنّ النهج السائد الذي يتبعه زالامانسكي في علم اجتماع المحتوى هو استكشاف تاريخ وتطور المجتمعات من خلال استخراج الموضوعات والمحتوى من الأدب كوثائق اجتماعية (زالامانسكي، ١٣٧٧: ٢٦٧).

يتناول الشاعر المصري صالح كمال الدين جودت (١٩١٢-١٩٧٦م) كذلك في قصيدة بعنوان "محمد الوحدوي" تاريخ الإسلام القديم أولا ويشرح كيف استطاع النبي محمد (ص) أن يوحد الأمة العربية ضد الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، ثم يخاطب النبي محمد (ص)، قائلا:

«**يا سيرة مِن غابرِ الأعصُر / خَفّاقة خلف حِجاب السنين / لم تَخف عن كسرى ولا قيصر / وإن طوتها غفلة الحاضرين / عودي إلى أقوامنا وانظري / ما تصنع الفرقة بالهاجرين / لم يبقَ إلّا أمل ينبرى / إشعاعه مِن وهج الثّائرين**» (القاعود، ١٩٨٧: ٢٣٥).

إنّ شعراء العرب الغابرين كانوا يطلبون من النبي (ص) أن يشفع لهم يوم القيامة في الغالب الأعمّ؛ ولكن الوضع الاجتماعي المزري والمؤسف دفع الشعراء إلى مطالبة النبي (ص) بحل المشاكل السوسيولوجية للمجتمع العربي وعودة الأمة الإسلامية إلى مجد ماضيها. إن التأمل في تطور نظريات النقد الاجتماعي للأدب يظهر أن نظريات باحثين مثل

زالامانسكي تسعى إلى توضيح النقطة التي مفادها أن الأدب هو، بكل الطرق، مرآة للمجتمع ويقدم صورة واقعية للمجتمع.

في المجال نفسه، إنّ الشاعر السوري المعاصر نزار قباني (١٩٢٣-١٩٩٨م) في قصيدة جميلة معنونة بـ"عَزَّ الوُرُودُ" التي أنشدها في مدح الرسول الكريم (ص) في نهاية حياته، قائلا في الجزء الأخير من القصيدة:

يَا طَيْبَةَ الْخَيْرَاتِ ذَلَّ الْمُسْلِمُونَ وَلَا مُجِيرَ وَضُيِّعَتْ أَحْلَامُ

يَا هَادِيَ الثَّقَلَيْنِ هَلْ مِنْ دَعْوَةٍ تُدعى بِها يَستَيقظُ النّوّامُ

(قباني، ٢٠٠٨م: ٥٠٧/٦)

لقد عبّر الشاعر في هذه اللقطة الشعرية، عن ضعف المسلمين وحقارتهم وغفلتهم عما يدور في أوطانهم، مستدعيا حضرته لكي يستيقظهم ويزول عنهم كل مظاهر الغفلة في الحياة المعاصرة اليوم. فمن هذا المنطلق، نلاحظ أنّ المدائح النبوية خرجت في هذا العصر من الفردية السالفة واتخذت طابعًا نضاليًا واجتماعيًا قويًا، كما نوقشت الشخصية الأرضية لتلك الحضرة الشريفة أكثر من شخصيته القدسية والملكوتية. وهذا هو التغيير الذي فرضه المجتمع ومتطلباته على الأدب والشاعر، حسب نظرية زالامانسكي (يراجع: زالامانسكي، ١٣٧٧: ٢٦٧).

كما يكتب الشاعر العراقي المعاصر حكمت صالح (١٩٤٦م) في هذا الصدد، مستحضرًا الرسول الأكرم (ص)، ومخاطبًا إياه وهو يقول:

«**سيّدي ماذا أقول / ومآسي البشرية / شرحها اليوم يطول / إنّ هذه الفلسفات / أفلتت مِن يدها حبل النجاة / مَن ترى يضمن الإنسان حقّا / فى الحياة**» (القاعود، ١٩٨٧: ٤٤١).

لقد صوّر هذا الأديب والشاعر الإسلامي، النبيّ الأكرم (ص) وهو شخصية ملكوتية وجوهرة سماوية كسفير سياسي منقذ للدول العربية بإمكانه أن يحرر الإنسان المعاصر من الآلام السياسية والمعاناة الاجتماعية المتعددة. إن شعر الشاعر، تتضمن مدح النبي (ص) بشكل مختصر وموجز، إلا أن الهدف الأساسي للشاعر كان غير مدح النبي (ص). ومن أبرز ما يميز المدائح النبوية المعاصرة، والتي تميزها تماماً عن العصور السابقة، أن تلك القدسية الخاصة التي نسبها شعراء العصور السابقة إلى النبي (ص) في شعرهم، لا نجدها في المدائح النبوية المعاصرة.

وفقًا لما يؤكد عليه زالامانسكي، فإنّ الفكر الأدبي يخضع باستمرار لتأثير الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة، وقد رأينا في الأمثلة المذكورة أنّه من الضروري فحص النصوص الأدبية ونقدها ليس في السياقات الاجتماعية والسياسية فحسب بل أيضًا في السياقات الاقتصادية والثقافية وغيرها؛ لأن وخامة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية و ... كان لها أثر مباشر على النظرة الشعرية للشعراء العرب المعاصرين. فمن هذا المنطلق، وفقًا للنظرية الاجتماعية

للأدب، لا يمكن فهم الناس بشكل منفصل عن حياتهم الاجتماعية. من وجهة النظر هذه، لا يمكن نقد الشعراء المعاصرين وتقييمهم دون تأثرهم بالمجتمع وتأثيرهم عليه.

٢-٢-٣- النضال ضد النفوذ اليهودي والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني

نظراً للتطورات الاجتماعية والسياسية والثقافية في العالم العربي وتطور الحداثة وزيادة إلمام الكتاب والمفكرين في العالم العربي بالأدب والمعرفة الغربية، قد تحقق تغيير جذري عميق في الأدب العربي بشكل عام وفي المديح النبوي بشكل خاص. وهذا التغيير الجذري وإن لم يكن ملحوظًا في البداية؛ لكن الشعراء اللاحقين، من خلال ترميز شخصيته الملكوتية، يسعون إلى إيقاظ الأمم، ومحاربة الاستعمار والطغيان والظلم، وما إلى ذلك. وفي هذه الفترة، إنّ الشعراء المعاصرين وظّفوا شخصية النبي (ص) أو الأحداث المتعلقة به في نصوصهم الشعرية كرمز يتضمن المدح والثناء على النبيّ (القاعود، ١٩٨٧: ١١٥). بحيث يتجاوز محتوى القصائد النبوية وموضوعاتها الغالبة وفقًا لنظرية نقد المحتوى لزالامانسكي، من العوالم المتعالية لدى الشعراء المعاصرين؛ حيث يضفون عليها جوهرا أرضيا يصبح وسيلة للتأمل في الآلام والمعاناة الاجتماعية والأحداث الخارجية تكون أكثر حساسية وأهمية لدى الشعراء العرب المعاصرين.

وليس غريبا ذلك أن يكون النفوذ اليهودي واحتلال فلسطين هما القلقان الرئيسيان للشعراء العرب المعاصرين؛ إلى حيث يستخدم الشاعر والكاتب الفلسطيني محمود درويش (١٩٤١ –٢٠٠٨م) في قصيدة (نشيد الرجال)، من ديوان "عاشق من فلسطين"، النبي محمّد (ص) في شعره كرمز للقوة الخارقة التي بإمكانها أن تخلص أرض فلسطين وتحررها، مستدعيًا شخصيته الملكوتية (ص) كشخص عادي من المواطنين العرب الفلسطينيين، بإمكانه أن يتحدث عبر الهاتف، قائلًا:

«**آلو / أُريدُ مُحمدَ العرب / نعم... مَن أنت؟ / سجينٌ في بلادي / بلا أرض / بلا عَلَم / بلا بيت / وَجاءوا يشترون النّار مِن صوتي / لأخرج مِن ظلام السجن / رَمَوا أهلي إلى المنفى / تحدّ السجن والسّجّان / فإن حلاوة الإيمان / تذيبُ مَرَارَة الحَنظَل**» (درويش، ١٩٨٤م: ١٢٨)

يقترح محمود درويش النبي محمد (ص) دليلاً ومنقذاً يوضح الطريق للخروج من الأزمة الراهنة في البلاد العربية (أشقر، ٢٠٠٥م: ٥٢). إنّ درويش في هذه اللقطة الشعرية يمدح نبي الإسلام المكرّم (ص) ويناشده أمام الأبواب المغلقة لكي يخلصه من مرارات سجون الكيان الصهيوني فبالتالي يحصل على الأمن والحرية والكرامة؛ إذن فيتصل الشاعر في لقاء خيالي بنبيه محمد (ص) ويعبر عن حزنه على كل ما ألحقه به اليهود من معاناة مرعبة، ويشتكي من حرمانه من حريته، واغتصاب أرضه وبيته، وهو يعاني من الاغتراب الذي بات ثقيلاً على قومه في المنفى، فيريد أن يدبر الأمر؛

لذلك نراه في خياله يسمع شيئًا فريدًا من الرسول (ص) يهون عليه كل مرارة وهو نفس الإيمان والرجاء بالله تعالى. في السياق ذاته، يدرس عالم الاجتماع الأدبي المحتوى والموضوعات المقدمة في الأعمال الأدبية كوسيلة لفحص مدى انعكاس التغيرات والتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية. ومن خلال هذا يمكننا أيضًا فهم العلاقة بين النص الأدبي والاتجاهات الفكرية والطبقية السائدة في المجتمع. يدرس هانري زالامانسكي الأعمال الأدبية باستخدام نهج علم اجتماع المحتوى. ويعتقد أن توثيق محتوى الأعمال وتصنيفها يوفر المواد الأكثر اكتمالا للدراسة الاجتماعية للأدب. يستجيب كل كاتب في عصره لمجموعة من الأسئلة والقضايا الاجتماعية، ومن خلال دراسة أعمال الكتاب من مختلف العصور، يمكننا أن نفهم كيف كانت استجابات كتاب تلك العصور للقضايا الاجتماعية والثقافية في تلك الحقبة (زالامانسكي، ١٣٧٧: ٢٥٣).

في المجال ذاته، يدعو الشاعر أحمد صافي النجفي (1977 - 1897) في خطابه النبيّ الأكرم (ص) مشيرا إلى قضية النفوذ اليهودي في أرض القدس واحتلال فلسطين، مخاطبًا إياه (ص):

محمدُ هل لهذا جئتَ تسعى؟ وهل لك ينتمي هَمَلٌ مُشاعُ؟
أإسلامٌ وتغلبهم يهودٌ وآسادٌ وتقهرُهم ضِباعُ؟
شرعتَ لهم سبيلَ المجدِ ولكن أضاعوا شرعَك السّامى فَضَاعُوا

(النجفى، ١٩٦٥: ١٣٤)

إن دراسة التفاعلات في شعر نجفي تقودنا إلى التغيرات في المجتمع العربي وانعكاس التطورات الاجتماعية والسياسية والثقافية في شعره. يرى زالامانسكي أن المحتوى والموضوع المقدمين في الأعمال الأدبية بمثابة وسيلة لفحص مدى انعكاس التغيرات والتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية في الأعمال الأدبية. فمن هذا المنطلق، يدعو الشاعر محمدا (ص)، ويتساءل منه على سبيل الاستفهام الإنكاري للكشف عما ضاعت من القيم الإنسانية، والمبادئ الأخلاقية، والدينية، مستذكرا مجد المسلمين العرب الديني والحضاري السابق؛ حيث كانت تمتلك كل عناصر القوة والتميز الحضاري والديني التي أضاعتها الأمة العربية الراهنة أكثر من أي وقت مضى. فالشاعر يلزمنا باتباع النبي (ص)، حتى نأخذ من خطبه وسلوكه بلسماً لأخطائنا الاجتماعية التي جرّتنا إلى هذه الهاوية العميقة، ونتبنى منه هذا السلوك العطر حتى نخرج من هذا الواقع المعيب إلى واقع مشرف مجيد، بفخر وإجلال دائمين، حتى تعود راية الإسلام المحمدي الأصيل ترفرف مرة أخرى فوق العالم.

والشاعر السوداني الشهير والملقب بشاعر إفريقيا والعروبة، محمد مفتاح رجب الفيتوري (1936-2015) يتحدث في قصيدة بعنوان "يوميات حاج إلى بيت الله الحرام" عن آلام ومشاكل العالم العربي وخاصة نفوذ اليهود وهزيمة

العرب، قائلا:

«يا سيّدى عليك أفضلُ السّلام / مِن أمةٍ مُضاعة / خاسرةِ البضاعة / تَقذِفُها حضارةُ الخراب والظّلام / إليك كلّ عام/ لعلّها أن تَجد الشّفاعة» (الفيتوري، ١٩٧٩: ١/٤٨٦ – ٤٩١)

والأمة المضاعة التي تاهت في سراديب مظلمة لا تهتدي فيها هي الأمة العربية المتشردة التي فقدت تراثها الديني والوطني والحضاري، ونفت قيمها وأنكرت حضارتها الأصلية فأغرقت في حضارة غربية لا يعرف منها إلا قشورها وقذائفها. إن المدائح النبوية هي تبلور للحفاظ على إنجازات العالمين الإسلامي والعربي الناجمة عن وطنية واستشهاد وتضحية أولئك الذين ساهموا في إعادة تعريف الهوية الوطنية. لقد أيقظ غزو العدو والغطرسة العالمية في العالم العربي شعوراً بالوطنية يرتكز على السياق السياسي والاجتماعي لدى الرجال والنساء العرب من كل لون وعرق. في علم اجتماع المحتوى، ومن خلال صياغة واستخراج محتوى وموضوعات الأعمال الأدبية وفحصها وتصنيفها، يتم توفير المواد اللازمة للدراسة الاجتماعية للأعمال الأدبية. وبما أن كل مؤلف يستجيب لمجموعة من الأسئلة والاحتياجات الاجتماعية والسياسية والثقافية وحتى الفلسفية في عصره، فمن خلال فحص محتوى الأعمال التي تم إنشاؤها في فترة معينة، يمكننا أن نفهم كيف يتم تقديم قضايا كل فترة في النصوص الأدبية (زالامانسكي، ١٣٧٧: ٢٥٣).

واعتبرت فدوى طوقان (2003 – 1917) وهي من أهم شاعرات فلسطين في القرن العشرين التي لقبت بشاعرة فلسطين، في قصيدته المعنونة بـ«حكاية لأطفالنا»، حادثة "عام الفيل" كرمز لانتصار المسلمين وخاصة الشعب الفلسطيني أمام الكيان الصهيوني:

«وجاء عام الفيل / ممتطيا مسافة / تقطعها الفصول بين الموت والحياة / تفجّر الصوت العظيم بالرعود والبروق/ حاملاً النبوءة / مُجتثاً الخرافة» (طوقان، ١٩٧٧: ٥٥٨).

ليس بدون سبب ذلك، حينما يختار الشاعر عنوان «حكاية لأطفالنا» ويأتي بعبارات مثل: «الرعود، والبروق، وحاملاً النبوءة، ومُجتثاً الخرافة» في قصيدته وفقًا لنظرية زالامانسكي التي يركز على تأثّر الشخص بالوضع الاجتماعي والسياسي والبيئي و ... وتأثيره عليها كذلك. يبدو الأمر كما لو أن الشاعر يجد جيله عالقًا في أوهام وخرافات لا أساس لها؛ بحيث لن يخطر النصر ببالهم أبدًا. لكن هذا هو الجيل القادم الذي يخرج من دائرة الخرافات مثل الخوف من إسرائيل، ومن العدو الذي لا يقهر، والخوف من هزيمة العرب والفلسطينيين من إسرائيل وما إلى ذلك، بحيث يرى الانتصار على العدو وخلاص الوطن وشيكًا مستلهمًا من ذاك الصوت العظيم (النبيّ الأكرم (ص)). وهذا الحادث مؤلم جدا لدرجة أنّ تأثيره لا يقتصر على جميع الشعراء الفلسطينيين فحسب؛ بل إنّه يؤثر على جميع شعراء المجتمع العربي كلهم. جدير بالذكر والتنويه أنّ الشعراء العرب، وخاصة الشعراء الفلسطينيين، لقد اهتموا باحتلال أراضيهم اهتمامًا بالغًا واستخدموا أنبياء مثل: موسى،

والمسيح، وعازر (ع) و ... إلخ كرمز وقناع للتعبير عن آلامهم في هذا المجال.

يبدو أنّ مهمة الشعر الملتزم، والتي تتجلى بوضوح في الأمثلة المذكورة للشعراء العرب المعاصرين، هي التمرّد على الوضع السياسي والاجتماعي الراهن والنضال ضد النفوذ اليهودي. هذا، واستنادًا إلى نظرية زالامانسكي، فإنّ العلاقة الوثيقة بين الأدب والمجتمع تجعل الأعمال الأدبية وثائق تاريخية لعصرها؛ بحيث عند فحص الأدلة المذكورة أعلاه للشعراء العرب المعاصرين، يمكن أن نفهم بسهولة أنّه في أيامهم، كان لقمع الاستعمار حضور قوي، ممّا جذب انتباه الشعراء العرب المعاصرين (يراجع: زالامانسكي، ١٣٧٧: ٢٦٤).

٣-٢-٣- تدهور أوضاع الحضارة العربية الإسلامية بعد بلوغها الذروة.

إنّ نفوذ الاستعمار الغاشم في العالم العربي، من القضايا الهامة التي تناولها الشعراء العرب المعاصرون وحذروا الناس من عواقبها المؤلمة. يعتبر الشاعر المعاصر العراقي بدر شاكر السياب (١٩٢٦ - ١٩٦٤م)، من الشعراء الذين أشاروا إلى هذه القضية بلهجة حادة في قصيدته المعنونة بـ"في المغرب العربي"؛ حيث صوّر من خلال شخصية النبي (ص) انطفاء مجد الإنسان العربي، ويقينه من ازدهار ذلك المجد من جديد، اذن فقد رمز إلى الرسول الأكرم (ص)، مشيرًا إلى أنّ جميع علامات الحضارة الإسلامية وعظمة المسلمين قد دمّرها طوفان الاستعمار، ومصورًا ظل الإنسان العربي المعاصر بصورة مئذنة، وهو يقول:

«**وكان مُحمد نقشا على آجرّة خَضراء / يَزهو في أعاليها.../ فأمسى تأكل الفئران، مِن معناه / ويركله الغزاة بلا حذاء / بلا قدم / وتنزف منه دون دم / جراح دونما ألم / فقد مات / ومتنا فيه مِن موتى ومِن أحياء / فنحن جميعا أموات / أنا ومُحمد والله**» (السيّاب، ١٩٧١: ٣٨١)

وظّف الشاعر في هذه القصيدة شخصية النبي الأكرم (ص) كرمز للقيم الإسلامية المنهوبة في العصر الحاضر ويمتدحه. وتحدث عن هيمنة الحزب الشيوعي وانطفاء القيم الإسلامية. فعندما يلجأ القادة الدينيون في الأراضي العربية إلى ركن العزلة ويفقدون فاعليتهم الضرورية في إرشاد أبناء المجتمع. إذن فيستخدم الشعراء المعاصرون شخصية النبي محمد (ص) كمقياس موضوعي لحثهم على إعلان عدم كفاءتهم. هذا، والشاعر في نهاية القصيدة نفسها يؤكد على أنه سيحقق ذاك المجد المفقود الذي كان لهم حصة منه في الماضي من جديد؛ فينتشر في أرجاء الأمة العربية الازدهار والانتصار والأمن مرّة أخرى، قائلا:

«**أنبر من أذان الفجر أم تكبيرة الثوّار تعلو من صياصينا؟ / تمخّضت القبول لتنشر الموتى ملاييننا / وَهَّبَ محمّدٌ وإلهُهُ العربي و الأنصار ... إنّ إلهنا فينا**» (المصدر نفسه: ٣٩٥)

وفي قصيدة أخرى بعنوان "العودة إلى جيكور"، يستخدم السياب "غار حراء" الذي يعدّ مكانًا لعبادة النبي محمد (ص) كرمز للهروب من الواقع المرير والمؤلم للعالم العربي، قائلا:

«**هذا حرائي حاكت العنكبوتْ / خيطًا إلى بابه / يهدي إليَّ الناس إني أموت / والنور في غابهْ / يلقي دنانير الزمان البخيلْ / من شرفةٍ في سعفات النخيلْ .. جيكور، يا جيكور هل تسمعينْ؟ / فلتفتحي الأبواب للفاتحين / ولْتَجْمَعِي أطفالك اللاعبين / في ساحة القرية هذا العشاء ...**» (ن.م: ٤٢٥)

من خلال دراسة محتوى الأعمال المعاصرة، نفهم كيف تم طرح قضايا عصرنا وما هي الحلول التي تم العثور عليها. إن مجموعة هذه الاستجابات التي يقدمها كل كاتب كفرد هي التي تقودنا إلى الأنماط الإيديولوجية التي يتم تقديمها للتأثير على وعي القراء (زالامانسكي، ١٣٧٧ش: ١٢٦). وبالطبع عندما يقدم الشاعر النبي (ص) قدوة للمسلمين في مواجهة الصعاب والدفاع عنهم ضد الأعداء وتوحيد صفوف المسلمين فهذا يتضمن ضمناً كل الثناء على النبي (ص) وصفاته الحميدة ويعتبر نوعاً من الثناء على ذلك النبي. وفقا لزالامانسكي، فإن كل كاتب وشاعر لديه نهجه الفريد في التعامل مع المشاكل الاجتماعية. لقد كان رد فعل الشعراء العرب المعاصرين وحلهم للظلم والاضطهاد في العالم العربي آنذاك هو التنوير والانتفاضة والنضال، والتي اتخذت أشكالاً مختلفة في مدح الرسول. في السياق ذاته، إنّ السياب في هذه اللقطة من القصيدة، لقد عبّر عن أسفه الشديد على الوضع المأزوم لجيكور، موظّفًا تقنية القناع ليصوّر حالة مدينته المتردية؛ حيث نراه يعتبر غار حراء، وهو المكان التاريخي الذي هبط فيه الوحي على النبي محمد (ص)، رمزًا لجيكور التي نسجت حاليا بشبكات العنكبوت وأغلقت أبوابها. يمكن قوله إنّ الشاعر قد أعرب ههنا عن غضبه وعن رفضه للواقع المزري لجيكور، إذن فاستدعى شعبه لإنقاذ مدينته التي ما زالت تقاتل تحت خيمة الموت، وقد أكّد على مواطنيه أن يضحوا بأنفسهم من أجل العراق كما أنّ المسيح ضحّى بنفسه من أجل الإنسانية.

وهناك دلالة معاصرة أخرى تحملها شخصية الرسول (ص)، وهي ازدهار الماضي العربي وتألقه، في مقابل انطفاء الحاضر؛ إلى حيث يستحضر الشاعر الفيتوري رسول الله (ص)، متقنّعاً بشخصية حاج من الحجاج، مخاطبا إياه (ص):

«**يا سيدي / تعلم إن كان لنا مجد وضيعناه/ بنيته أنت وهدمناه / أجل يا سيدي/ نرفل في سقطتنا العظيمة / كأننا شواهد قديمة ... / يا سيدي / لا جَمرَ في عظامنا ولا رمادْ / لا ثلجَ ولا سوادْ / لا الكفرُ كلّه ولا العبادهْ / الضعفُ والذّلّة عادهْ / يا سيدي/ عَلَّمْتنا الحبّ / فعَلِّمْنا تَمَرُّدَ الإرادهْ.../ إبكِ لنا... / فالعصرُ في داخلنا جدار / إن لم تُهَدِّمْه / فلن يغسِلَنا النهارْ**» (المصدر نفسه: ٣٢)

يعتبر الفيتوري "محمدا" رمزًا دينيًا وتاريخيًا وبانيًا رئيسًا للمجد التاريخي وازدهار حضارة العرب السالفة التي افتقدتها الشعوب العربية في ظل التجائها إلى ظواهر الحضارة الغربية الجديدة التي لا تجمع كل حاجات الإنسان المادية والنفسية،

لهذا السبب نلاحظ الشاعر يدعو الأمة العربية إلى ثورة كاملة مستعينًا بالرسول الكريم (ص) ليعلّمها تمرّد الإرادة كما علّمهم الحب والألفة في السابق. وبهذه الطريقة، وبما أن كل كاتب يستجيب لمجموعة من الأسئلة والاحتياجات الاجتماعية والسياسية والثقافية وحتى الفلسفية لعصره؛ فمن خلال دراسة محتوى الأعمال التي تم إنشاؤها في فترة معينة، يمكن للمرء أن يفهم كيف أثيرت قضايا كل فترة في النصوص الأدبية (زالامانسكي، ١٣٧٧: ٣٢٢). وعليه، فقد اتخذ مدح النبي في شعر الفيتوري شكلاً محددًا وفقًا للسياق الزمني المحدد لتلك الفترة، وتغير محتوى مدح النبي بسبب الظروف والمتطلبات المحددة لتلك الحقبة. تؤدي الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية إلى ظهور أو اختفاء نوع معين من الشعر. ووفقًا لزالامانسكي، فإن "العمل الأدبي هو ظاهرة اجتماعية بقدر ما هو إبداع فردي" (المصدر نفسه: ٣٢٥).

٤-٢-٣- عودة البعث والازدهار إلى المجتمع العربي

هناك دلالة معاصرة أخرى لشخصية النبي (ص) في مرآة الشعر العربي المعاصر وهي التي ركّزت على قضية عودة البعث والنشور والحماس. ولتحقيق هذا المعنى استخدم الشعراء كلمات تدل على تعدد المعاني وكثرتها مثل: "الدمع"، و"الحياة"، و"أم"، و"مخاض"، و"بعث"، و"يعود"، و"الزرع"، و"خبز"، و"سنبل"، و"موسم" و ..... إلخ. على سبيل المثال، يصوّر الشاعر العراقي المعاصر، شاذل جاسم طاقة (1974 - 1929)، في قصيدة (ضائعون وغرباء) مستقبلاً مشرقًا للنبي (ص) (الإنسان المعاصر)، ويقدم شخصيته المكرمة (ص) كرمز للازدهار والبعث والإحياء، قائلا:

«في رحم كل إمرأة محمد من جديد / يمسح دمع الثاكلات، يبحث الحياة / فتومض البسمه فى الشفاه» (طاقة، ١٩٦٩: ٤١)

لقد وحّد شاذل طاقة بين البطل الأسطوري والرمز الديني أملًا في إعادة بعث الإنسان العربي من جديد، ثائرًا ومخلصًا ومنقذًا. في المجال ذاته، يرمز الرسول الأكرم (ص) ههنا إلى الإنسان العربي المنتظر الذي يخلص الأمة من آلامها وهوانها، حيث يسوق البشارة على لسان الكاهن سطيح إلى الضائعين والغرباء الذين جاءوا لينشدوا عنده معرفة ما يضمره لهم المستقبل.

ويخاطب الشاعر المعاصر السوري عمر أبو ريشة (١٩١٠ –١٩٩٠م) الرسول الأكرم (ص) كعروس للصحراء في قصيدته معنونة بـ"ملحمة النبي" حيث يحزنه بشدة موت القيم الإنسانية الفاضلة والمنهج التربوي الإسلامي القويم، فيطلب من شخصيته العظيمة (ص) إحياءها من جديد، ويقول:

« يا عروس الصحراء ما نبت المجد على غير راحة الصحراء / فأعيدي مَجدَ العروبة واسقي / مِن سناهُ مَحاجرَ الغبراءِ / قد ترفّ الحياة بعدَ ذبولِ / ويلين الزمانُ بعدَ الجفاء» (أبو ريشه، ٢٠٠٩: ٣٦٥/١)

يستخدم أحمد عبد المعطي حجازي (1935م) شاعر وناقد مصري كبير كذلك شخصية الرسول الأكرم (ص) كرمز للنصر والفتح في قصيدة بعنوان «مرثيّة للعمر الجميل»، قائلا:

«وأنا طالب الدّم / طالب لؤلؤة المستحيل / كان بيتي بِقُرطبة / بِعتُ قيثارتي ثمّ جِزتُ المضيق / قاصداً مكة والطريق رائعٌ / كنتُ وحدي وكانت بلادي دَليلي / وكان مُحمّد فوق المآذن يمسك طرف الهلال/ وينير سبيلي / ويوقف خيل الفرنجة / يمسخها شجرا أخضر في التلال / إنّني أحلمُ الآن / بيتي كان بغرناطة / بعتُ قيثارتي واشتريتُ طعاما ...». (حجازى، ١٩٧٣: ١٠٠)

إنّ الحجازي في هذه القصيدة التي تعبر عنها بلغة رمزية، يشير أولاً إلى عصور ازدهار وعظمة المسلمين ويعتبرها مصدر قوة وأمل لإيقاظ مسلمي اليوم؛ ثم يستخدم شخصية الرسول (ص) كرمز للنضال ضد الاستعمار وبقوله «إنّني أحلمُ الآن»، فإنّه يتعامل مع الواقع الحالي للمسلمين وخاصة العرب الذين فقدوا مجدهم وشوكتهم السابقة وأصيبوا بالفشل والهزيمة.

إنّ انهيار مجد الدول العربية وسلطتها نتيجة الاحتلال والاستعمار من جهة، والانغماس في الفساد الأخلاقي الناجم عن الحياة الحضري من جهة أخرى، هو واقع شكل مصيرًا مريرًا لهذه الأراضي وأزال ديناميكية ونضارة منها. وبما أنّ هذا الفكر، مثل غيره من الأفكار، له ما يعادله في التاريخ، فقد استغل الشعراء الأمثلة الملموسة الموجودة بين الأنبياء في التعبير عنها.

في غضون ذلك، لوحظ اسم حضرة محمد (ص) بعدة طرق. أحدها أن تلك الشخصية هي رمز للقيم الإسلامية التي تم الدوس عليها في العصر المعاصر، بما في ذلك ما يفسره السياب في قصيدة "المغرب العربي"؛ حيث يقول:

«... زال كمئذنة تردد فوقها اسم الله .. وخط أسم له فيها... فنحن جميعنا أموات أنا ومحمد والله. وهذا قبرنا: أنقاض مئذنة معفرة عليها يكتب اسم محمد والله...»

في هذه القصيدة، تنطبق الأنا للشاعر على الرجل العربي، فالنبي محمد (ص) ينطبق على القيم الإسلامية، وكلمة "مجد لله" تشير إلى الروح الدينية التي تحكم المجتمع، وهذه الأبيات تتحدث عن هيمنة الحزب الشيوعي واختفاء القيم الإسلامية. عندما ينسحب رجال الدين في الأراضي العربية إلى ركن العزلة ويفقدون كفاءتهم الضرورية في توجيه الناس في المجتمع، يستخدم الشعراء أيضًا شخصية النبي محمد (ص) كمقياس موضوعي لتحفيزهم. لذلك، فإن الجواب والحل لدى الشعراء العرب المعاصرين في مواجهة الاختناقات السياسية والاجتماعية الخانقة استنادًا إلى نظرية زالامانسكي، هو توعية الناس وتوفير التنوير الذي يعبّر عنه بلغة رمزية. يمكننا قوله إنّ تنوع قضايا المجتمع دفع الشعراء إلى عدم قصر نطاق رموزهم على مجال معين وتوسيعه ليشمل رموزًا أخرى، بما في ذلك الرموز الدينية. وفي الوقت نفسه، يلعب الأنبياء

دورًا بناءًا في هذا المضمار. استخدم الشعراء هذه الشخصيات؛ إذ إنّ لها معان محتملة ومتوافقة مع تجاربهم الداخلية، لتسليط الضوء على أبعادهم المنسية واستخدامها لنقل بياناتهم الذهنية بشكل رمزي (زالامانسكي، ١٣٧٧: ٢٥٣). ولكن بما أن هذه الرموز تنمو جنبًا إلى جنب مع الكلمات الأخرى في النص، فإن لها أنواعًا خاصة ومتعددة من الأغراض البلاغية والدلالية كالمدح والفخر والتعظيم والثناء على النبي (ص) التي تستحق الاهتمام من الناحية الأدبية والفنية.

٥-٢-٣- النضال من أجل الحقّ والخير الإنساني

وهناك دلالة أخرى لشخصية الرسول (ص) شاعت جدًا في قصائد الشعراء العرب المعاصرين، وهي تتمثل في علامة ثورية متمردة تحمل لواء النضال من أجل الحق والخير الإنساني. في المجال نفسه، نلاحظ أنّ الشاعر العراقي المعاصر المشهور بكاظم جواد (١٩٢٨-1984م) في قصيدة (أحد والحريات والربيع)، يظهر النبي الأكرم (ص) كقائد للقوات التي تقاتل من أجل الخير، والقيم الإنسانية الأصيلة، قائلا:

«**يهيب بالمستضعفين في جبهة واحدة /، وحدوا الصفوف واستقبلوا الحتوف / لا تحملوا الأسلاب والغنائم الثقال / لا تجهضوا الأرحام لا تستعبدوا الكهول / نحن رجال الحب والسلام والجمال..**» (جواد، ١٩٦٠م : ١٣٠)

يستحضر الشاعر شخصية النبي الأكرم (ص) كرائد يدعو المظلومين إلى اكتساب مجموعة من الخصال الإنسانية والنضالية التي يحتاجها الفرد ليصل بنفسه إلى المعرفة المتنامية فيما يتعلق بحصول على العزة والأمن والاقتدار في البلاد؛ حيث نراه يتوخى من المجاهدين والمقاتلين بأن يوحدوا صفوفهم ويشكلوا أحزابا قوية متماسكة في مواجهة المحتلين ويحرّضهم على استقبال الموت في سبيل الدفاع عن الوطن داعيًا إياهم إلى الحب والسلام وغيرها من القيم الإنسانية الأصيلة.

يمكن القول إنّ الواقعيات الاجتماعية والسياسية وفقًا لنظرية زالامانسكي، لعبت دورًا محوريًا في تشكيل المحتوى والموضوعات الجديدة للقصائد النبوية في العصر الحاضر (يراجع: زالامانسكي، ١٣٧٧: ٢٧٦). وكان هذا بسبب حقيقة أن الأدب العربي، تقليدًا للغرب، جعل الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية هي المحور الرئيسي للأدب. لذلك، اهتم الشعراء العرب، بحسب ميولهم الفكرية والعقائدية بقضايا المجتمع العربي ومشكلاته السوسيولوجية، واستدعوا شخصيات دينية كالرسول الأكرم (ص) لإثارة المشاكل الاجتماعية والسياسية في المجتمع وإعلام الناس بما وقع لهم فيه. إن الإيمان بالشخصية الإلهية لنبي الإسلام في الشعر المعاصر يشير إلى الارتباط بين النص والاتجاهات الفكرية السائدة

في المجتمع، وهذا هو النهج الذي أكد عليه زالامانسكي دائمًا في نظريته الاجتماعية. يدرس علم الاجتماع الأدبي محتوى وموضوعات الأعمال الأدبية كوسيلة لفحص مدى انعكاسها على التغيرات والتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية. ومن خلال ذلك، يمكن أيضًا فهم الارتباط القائم بين النص الأدبي والاتجاهات الفكرية والطبقية السائدة في المجتمع.

كان للتطورات الاجتماعية والسياسية المعاصرة في المجتمع العربي دور واضح في الشعر العربي المعاصر؛ حيث جعل الشعراء العرب يخلقون موضوعات ذات شحنة أيديولوجية في الشعر العربي الملتزم؛ والجواب والحل للشعراء العرب المعاصرين في المدائح النبوية لمشاكل مجتمعهم – والتي تبلورت هذه الإجابة من وجهة نظر زالامانسكي في أنواع أدبية مختلفة – هي "النضال من أجل الحرية"، لذلك نرى أن الشعراء يحاربون الاختناق والأنظمة الاستبدادية والمتلاعبة، بحيث شنّوا نوعًا من النضال ضد اختناق الأنظمة الديكتاتورية والمتلاعبة. وتحتوى مدائحهم مفاهيمًا مثل معاناة الهجرة، والوطنية، وانتقاد فقر الناس ومعاناتهم، والشكاوى من طغيان الحاكم، والتنوير ومناهضة الاستبداد، والرغبة في الحرية والسعي لتحقيق العدالة، هي بعض المفاهيم الاجتماعية وموضوعات المدائح النبوية السائدة متأثرة بالظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية وأحوال المجتمع العربي وفقًا لما تؤكد عليه نظرية المحتويات السائدة والمسلطة لزالامانسكي.

من خلال فحص أدلة الأمثلة المذكورة للشعراء العرب المعاصرين، يمكننا الإجابة على أنّهم عندما يواجهون المشاكل الاجتماعية والسياسية في عصرهم، فإنّهم يدعون إلى النضال ويرسمون رؤى للحرية، وهذا هو نفس الجواب أو النهج الذي من وجهة نظر علم اجتماع الأدب لزالامانسكي، سيقدمه في نهاية المطاف، كل كاتب فيما يتعلق بنوعه الأدبي وبالطبع نظرته الشخصية للعالم، في مواجهة السياسة والمجتمع.

إن صانع العمل الفني هو جمع؛ في إنشاء العمل، يمكن للمؤلف أن يكون أحد العوامل أو الوكلاء. يلعب النص الوصفي دورًا كبيرًا في إنشاء العمل مثل المؤلف. إن المجتمع والتاريخ والثقافة وواقع العصر والقراء كل واحد منهم مشارك ومساهم في تشكيل العمل مثل المؤلف. كما أن تحليل محتوى العمل الأدبي هو أحد مناهج علم الاجتماع الأدبي، حيث يستخدم عالم الاجتماع محتوى العمل الأدبي لتفسير التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية. تعتبر أفكار هانري زالامانسكي هي المبادر لمنهج المحتوى المتفوق في علم الاجتماع الأدبي وهو يرى أن الهوية يمكن التعرف عليها على أساس الحقائق السياسية والاجتماعية مع التركيز على محتوى الأعمال، لأن كل فنان يتخذ موقفاً ضد قضايا مجتمعه ويستجيب لهذه القضايا إلى حد ما. لذلك، عند تحليل الأعمال الأدبية من فترات مختلفة، بالإضافة إلى فهم وتلقي الإجابات على القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية في ذلك الوقت، يمكننا أيضًا فهم ما كانت حلولهم لحل تلك القضايا. ولكي يكمل زالامانسكي نهجه، فإنه يؤمن بـ"علم اجتماع الأنواع الأدبية"، ويعتقد أنه بناءً على ما إذا كنا

نتعامل مع رواية أو مسرحية أو قصيدة، فلابد وأن نواجه استجابات مختلفة. وتشكل هذه الاستجابات المختلفة وظيفة كل نوع أدبي، أي الطريقة المحددة للتعامل مع المشكلة. وهذه الاستجابة المحددة بالنسبة لنا هي سمة مميزة لكل نوع (زالامانسكي، ١٣٧٧: ٢٧٣-٢٧٤). وقد تعارض هذا النهج إلى حد ما مع نظرية جولدمان لأنه كان يعتقد أن نهج زالامانسكي أهمل الجانب الجمالي للعمل الفني. إلا أن المؤلف لا يمتلك مثل هذا الفهم، لأنه في تحليل محتوى النص على أساس جمالياته، من الممكن فهم طبقات المعنى والتعرف على تعدد طبقات لغة النص.

٤- النتيجة

١. بحسب نظرية زالامانسكي الموجهة نحو المحتوى، فإن محتوى المديح النبوي قد تغير كلياً في العصر الحديث، ولم يعد مدح النبي يُقدَّم في شكل قصيدة كاملة أو في منتصفها ونهايتها كما كان سائدًا في العصور السابقة، بل إن الشاعر المعاصر يمتدح الرسول بشكل رمزي، وقد أدت الظروف الاجتماعية والسياسية التي تعيشها الأمتان العربية والإسلامية إلى ذلك وفقًا لنظرية الانعكاس لهانري زالامانسكي. بمعنى آخر، فإن المديح النبوي لا وجود له عند الشعراء العرب المعاصرين بالمعنى المتعارف عليه في الماضي، بل إن شكل المدائح النبوية ومضمونها قد تغير في العصور المعاصرة، فلم يعد الشعراء المعاصرون يذكرون اسم النبي إلا بنفس المعنى الرمزي، وهذا المعنى الرمزي نفسه يدل أيضاً على مدح وتمجيد النبي (ص).

٢. لقد عانى الشعراء العرب المعاصرون من القهر والقمع السياسي والاجتماعي للمعتدين، وكان لديهم شعور بالالتزام والمسؤولية تجاه شعوبهم ومجتمعهم، حيث صوروا مفاهيم هذا الفهم في أشعارهم، وهم أعطوا أنفسهم موقفا من التنوير والوعي كنقاد سياسيين، وحاولوا إيقاظ وتوعية الناس وفقًا لنظرية زالامانسكي، عندما يقول إن كل تقنية أدبية تولد من الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لتلك الفترة المعينة.

٣. لعبت الحقائق والواقعيات الاجتماعية والسياسية والنضالية الراهنة متأثرة بالمحيط الاجتماعي دورًا مهمًا في تحول المدائح النبوية في الأدب العربي المعاصر من الفردية إلى الجماعية.

٤. إنّ الظواهر السوسيولوجية لها تأثير كبير على محتوى المدائح النبوية في العصر الحاضر؛ إذ إنّ الشعراء في كل فترة لقد نظروا إلى شخصية الرسول (ص) وفقا لنماذج تلك الفترة الزمنية وبيئتها الاجتماعية الخاصة بها.

٥. لقد استطاع الشعراء العرب المعاصرون أن يتجاوزوا الملامح التقليدية في المدائح النبوية؛ حيث أخذت هذه المدائح دلالات معاصرة متنوعة متأثرة بالقضايا السوسيولوجية، واصطبغت بصبغة اجتماعية رسالية؛ فبينما كانت في الشعر العربي القديم ذات صبغة وصفية فردية.

٦. لقد ألقى الشعراء العرب المعاصرون نظرة واقعية على شخصية الرسول (ص) وتجنبوا المبالغة وحققوا التوازن في

إشراق شخصية النبي (ص) ولم يعزوا إليه صفات وخصائص غير مألوفة.

٧. لقد غيّرت المسائل السوسيولوجية مسار المديح النبوي بطريقة تتأثر بأحداث اليوم في المجتمع العربي، فأصبح من الصعب للغاية بل من المستحيل أحيانًا التمييز بين شعر الشعراء المسلمين وغير المسلمين حول استحضار شخصية ذلك الحضرة الشريفة.

٨. لقد أولى الشعراء العرب المعاصرون المزيد من الاهتمام للجوانب الإنسانية لشخصية النبي محمد (ص)، والترميز إليه كمنقذ للجالية العربية والأمة الإسلامية، وتوظيفه كرمز للتعبير عن الآلام والمشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع العربي المعاصر.

المصادر والمآخذ

١. أبوريشة، عمر (٢٠٠٩م)، **الأعمال الشعرية الكاملة**، ج ١، ط ١، مع مقدمة عمر شبلي، بيروت: دار العودة.

٢. أشقر، أحمد (٢٠٠٥م)، التوراتيات في شعر محمود درويش (من المقاومة الي التسوية)، ج١، بيروت: دار قدمس.

٣. آدونيس، علي أحمد سعيد (١٩٧٤م)، **الثابت والمتحوّل**، بيروت: دارالعودة.

٤. البارودي (٢٠١١م)، **كشف الغمة في مدح سيد الأمة (ص)**، ط ١، شرح محمد فوزي حمزة، القاهرة: مكتبة الآداب.

٥. الجراري، عباس (١٩٨٢م)، **الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه**، ط٢، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

٦. جواد، كاظم (١٩٦٠م)، **من أغاني الحرية**، الطبعة الاولى، بيروت: دار صادر.

٧. الحجازي، احمد عبد المعطي (١٩٧٤م)، **الأعمال الكاملة**، بيروت: دارالعودة.

٨. درويش، محمود (١٩٨٤م)، **ديوان الشعر**، المجلد الأول، بيروت: دار العودة.

٩. دستغيب، عبدالعلي (١٣٧٨)، **در آيينة نقد**، تهران: حوزة هانري.

١٠. زالامانسكي، هانري (١٣٧٧) **بررسي محتواها، مرحلهاي اساسي در جامعهشناسي ادبيات معاصر؛ درآمدي بر جامعهشناسي ادبيات**، ترجمة محمّدجعفر پوينده، تهران، نقش جهان.

١١. سليمي، علي وأحمدي، محمدنبي (١٤٣١ق)، *المدائح النبوية في الشعر المعاصر (دراسة في تطورها التاريخي)*، **مجلة العلوم الإنسانية الدولية**، العدد ١٨ (٤)، صص ٦٤-٤٩.

١٢. السيّاب، بدر شاكر (١٩٧١م)، **الأعمال الكاملة**، بيروت: دارالعودة.

١٣. شوقي، أحمد (لا تأ)، **الشوقيات**، ج ١، بيروت: دارالكتاب اللبناني.

١٤. طاقة، شاذل (١٩٦٩م)، **الجموعة الشعرية الكاملة**، جمع وإعداد سعد البزاز، بغداد: منشورات وزارة الإعلام.
١٥. طوقان، فدوى (١٩٩٧م)، **ديوان الشعر**، بيروت: دار العودة.
١٦. عسگری حسنكلو، عسگر (١٣٨٧ش)، *نظريه‌های نقد جامعه‌شناسی ادبيات*، **مجله ادب‌پژوهی دانشگاه گيلان**، دوره1، شماره4 ، زمستان و بهار، صص 43 -64 .
١٧. الفيتوري، محمد (١٩٧٩م)، ، **ديوان الشعر**، المجلد الأول، بيروت: دارالعودة.
١٨. القاعود، حلمى محمد (١٩٨٧م)، **محمد (ص) في الشعر العربي الحديث**، القاهرة: دارالوفاء.
١٩. قباني، نزار (٢٠٠٨م)، **الأعمال السياسية الكاملة لنزار قباني**، ج٦، منشورات نزار قباني.
٢٠. القرنفلي، وصفي (١٩٥٠م)، **الديوان**، ط ٢، القاهرة: دار النشر للجامعات.
٢١. الكاتب، احسان (١٩٧٣م)، **النبي العربي (ص) في الشعر الحديث**، دمشق: دار المكتبة الوطنية الظاهرية
٢٢. مبارك، زكي (١٩٣٥م)، **المدائح النبوية**، الطبعة الأولى، صيدا بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
٢٣. محرم، أحمد (١٩٦٣م)، **الديوان**، مصر: دارالكتب الإسلامية.
٢٤. مكى، محمود على (١٩٩١م)، **المدائح النبوية**، القاهرة: الشركة المصرية العالمية.
٢٥. النجفي، أحمد الصافي (١٩٦٥م)، **ديوان الشعر**، بيروت: مؤسسة المعارف.

Refrences

1. Abu Risha, Omar (2009 AD), Complete Poetic Works, vol. ١, ١st edition, with an introduction by Omar Shibli, Beirut: Dar Al-Awda.
2. Adonis, Ali Ahmed Saeed (١٩٧٤), The Fixed and the Transformed, Beirut: Dar Al-Awda.
3. Al-Baroudi (2011 AD), Kashf Al-Ghamma fi Praise of the Master of the Ummah (PBUH), ١st edition, Sharh Muhammad Fawzi Hamza, Cairo: Library of Arts.
4. Al-Fitouri, Muhammad (1979 AD), Poetry Collection, Volume One, Beirut: Dar Al-Awda.
5. Al-Hijazi, Ahmed Abdel Muti (1974 AD), Complete Works, Beirut: Dar Al-Awda.
6. Al-Jarari, Abbas (1982), Moroccan Literature through its Phenomena and Issues, 2nd edition, Al-Najah New Press, Casablanca.

7. Al-Najafi, Ahmed Al-Safi (1965 AD), Poetry Collection, Beirut: Al-Ma'arif Foundation.
8. Al-Qaoud, Hilmi Muhammad (1987 AD), in Modern Poetry, Cairo: Dar Al-Wafa.
9. Al-Qarnafi, Wasfi (1950), Diwan of Poetry, ٢nd edition, Cairo: Universities Publishing House.
10. Al-Sayyab, Badr Shaker (1971), Complete Works, Beirut: Dar Al-Awda.
11. Asgari Hasanglo, Asgar (1387 AH), Theory of University Criticism of Shinasiya Literature, Danish Ghaylan Literature Magazine, ١st edition, Shamarah ٤, Zamistan and Bahar, p. ٤٣-. ٦٤
12. Ashkar, Ahmed (2005), Biblical writings in the poetry of Mahmoud Darwish (From Resistance to Settlement), vol. ١, Beirut: Dar Qadmus.
13. Darwish, Mahmoud (1984), Collection of Poetry, Volume One, Beirut: Dar Al Awda.
14. Dastghib, Abd al-Ali (1378), Dar Ayna Naqd, Tehran: Hanri Seminary.
15. Jawad, Kazem (1960), From Songs of Freedom, first edition, Beirut: Dar Sader.
16. Mubarak, Zaki (1935 AD), Praises of the Prophet in Arabic Literature, first edition, Sidon, Beirut: Modern Library Publications.
17. Muharram, Ahmed (1963AD), Al-Diwan, Egypt: Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah.
18. Qabbani, Nizar (2008), The Complete Political Works of Nizar Qabbani, vol. ٦, Nizar Qabbani Publications.
19. Salimi, Ali and Ahmadi, Muhammad Nabi (1431 BC), Prophetic Praises in Contemporary Poetry (A Study of Their Historical Development), International Humanities Journal, No. 18 (4), pp. 49-64.
20. Shawqi, Ahmed (La Ta), Al-Shawqiyyat, Part ١, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Lubani.
21. Taqa, Shazil (1969 AD), The Complete Poetry Collection, collected and prepared by Saad Al-Bazzaz, Baghdad: Ministry of Information Publications.
22. Touqan, Fadwa (1997), Diwan of Poetry, Beirut: Dar Al Awda.
23. Zalamanski, Henry (1377) Persian content, basic stage of the university, contemporary literary studies; Dramadi Bar Jameh, Shinasi Adabiyat, translated by Muhammad Jafar Powindeh, Tehran, Naqsh-e Jahan.

Sociological investigation of praises of the Prophet in contemporary Arabic poetry in the light of Zalamanski's theory

Mohammad Hasan Amraei[1]

Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Lorestan University, Lorestan, Iran

Abstract

Sociological studies of literary works can reveal significant aspects of the social awareness and sentiment prevalent during the time of their creation. In this context, the prophetic praises of contemporary Arab poets, composed following the unrest and turmoil in the Arab world, have become poems intermixed with dominant social, political, and combative issues. Consequently, contemporary Arab poetry is rich in symbolic language and applications, enabling it to fulfill a sensitive social and political role within Arab society. This influence of the social environment intensifies over time, leading to social and political events that play a pivotal role in shaping the content and trajectory of prophetic praises. From a sociological viewpoint, the prophetic poems of contemporary Arab poets are extensively intertwined with the social and political events of their society. This article employs a descriptive-analytical method based on a sociological approach to investigate the political and social perspectives evident in contemporary Arab prophetic praises. The results of this study show that contemporary Arab poets are seeking a new discourse aimed at promoting the prosperity and development of their society. Therefore, the praises of the Prophet in this era have abandoned their former individualistic focus in favor of a stronger social and combative dimension, frequently emphasizing the earthly and human personality of the Holy Prophet over his divine or royal attributes.

Keywords: Contemporary Arabic poetry, al-Madaih al-Nabawiyya, sociology of literature, al-reflection, Henry Zalamansky.

[1]Corresponding Author's Email: amraei.mh@lu.ac.ir

بررسی جامعه شناختی مدایح نبوی در شعر معاصر عربی در پرتو نظریه زالامانسکی

محمدحسن امرائی[۱]

دانشیار گروه زبان و ادبیات عرب، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه لرستان، لرستان، ایران

تاریخ دریافت: ۱۴۰۳/۶/۱۳ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۳/۱۲/۱۵

چکیده

مطالعات جامعه‌شناختی آثار ادبی می‌تواند بخش بزرگی از احساس و آگاهی اجتماعی را در دوره زمانی ظهور این آثار ادبی نشان دهد. در همین زمینه، در همین زمینه، مدایح نبوی شاعران معاصر عرب، در پی آشوب‌ها و ناآرامی‌هایی که در جهان عرب رخ داده است، به شعرهایی آمیخته با موضوعات غالب اجتماعی، سیاسی و مبارزاتی تبدیل شده است. لذا شعر معاصر عرب مملو کاربردهای نمادین شده تا بتواند نقش اجتماعی و سیاسی حساس خود را در سطح جهانی در جامعه عرب بازی کند. این تأثیر محیط اجتماعی با گذشت زمان، بیشتر و بیشتر می‌شود و منجر به وقایع اجتماعی و سیاسی می‌شود که نقشی محوری در شکل دادن به محتوا و سیر مداحی‌های نبوی داشتند. بر همین اساس، شعرهای شاعران معاصر عرب در ستایش‌های نبوی، تا حد زیادی از منظر جامعه‌شناختی با وقایع اجتماعی و سیاسی جامعه آنها عجین شده بود. این مقاله از روش توصیفی و تحلیلی مبتنی بر رویکرد اجتماعی برای بررسی رویکردهای سیاسی و اجتماعی مدایح نبوی در شاعران معاصر عرب، استفاده کرده است. نتایج این مطالعه نشان داد که شاعران معاصر عرب به‌دنبال گفتمان جدیدی در راستای اصلاح شکوفایی و توسعه جامعه خود دارند. بنابراین، ستایش‌های نبوی در این عصر از جنبهٔ فردگرایی سابق خارج شده و بیشتر جنبهٔ مبارزه‌طلبی و اجتماعی پیدا کرد، تا جایی که شخصیت زمینی آن حضرت بیش از شخصیت الهی و ملکوتی وی مورد بحث قرار گرفت.

واژگان کلیدی: شعر معاصر عربی، مدح پیامبر، جامعه شناسی ادبیات، انعکاس، هانری زالامانسکی

۱. نویسنده مسئول: Email: amraei.mh@lu.ac.ir